(تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها)

لأحمد مصطفى المراغي

(دراسة بلاغية نقدية)

أ . د / طلعت عبد الله بسيوني أبو حلوة

أستاذ البلاغة والنقد في كلية الدراسات الإسلامية

والعربية جامعة الأزهر / فرع دســوق

(تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها) لأحمد مصطفى المراغي (دراسة بلاغية نقدية)

طلعت عبد اللّه بسيوني أبو حلوة
قسم البلاغة والنقد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية جامعة الأزهر / فرع دسوق، جمهورية مصر العربية.
البريد الإلكتروني: talatAbdalla.2130@azhar.edu.eg

ملخص البحث: يعد كتاب "تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها" للمراغي حلقة مهمة في معرفة رحلة البلاغة العربية ، وخط سيرها البياني منذ نشأتها حتى العصر الحديث ، كما يعد أيضًا قيمة عظيمة وجليلة ، حيث أبرز كثيرًا من كنوز علوم البلاغة ، وجواهر المؤلفات فيها ، ولا سيما المؤلفات التي طواها الزمن ، أو تاهت في غياهب النسيان ، كما يعد كذلك مصباحًا مضيئًا كشف به صاحبه كثيرًا من جوانب شخصيات رجال البلاغة الذين ترجم لهم .

ولقد بدأت هذا البحث بمقدمة تناولت فيها أهمية هذا الموضوع ، وأهم أسباب اختياره ، وأهم الصعوبات التي واجهتني فيه ، وبيان الهيكل الذي جاء ذلك البحث على صورته مشتملًا على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة .

وأما التمهيد فقد جاء في نقطتين: تناولت في الأولى التعريف بالمؤلف، وذلك من حيث اسمه ونسبه ، ومولده، ونشأته، وأعماله ووظائفه، ووفاته، ومؤلفاته، وتناولت في الثانية التعريف بكتاب " تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها" محل الدراسة ، وذلك من حيث مادته، وقيمته الفنية، وسبب وتاريخ تأليفه.

وأما المبحث الأول فهو بعنوان " نشأة علوم البلاغة وأطوار التأليف فيها"، وتناولت فيه الأطوار الخمسة التي ذكرها المراغي ، والتي مرت بها البلاغة العربية منذ نشأتها حتى العصر الحديث ، وأتبعت ذلك المبحث بتذييل بعنوان

"واضع علمي المعاني والبيان سيبويه"، عرضت فيه ما رآه المؤلف في ذلك، والأدلة التي عضد بها رأيه مؤيدًا ما ارتآه وذهب إليه .

وأما المبحث الثاني فهو بعنوان " التعريف بعلماء البلاغة " ، وهم العلماء الخمسة والتسعون الذين عرف بهم المراغي على أنهم رجال البلاغة ، وقسمت فيه هؤلاء العلماء قسمين : ١- قسم عرف بهم بإطناب ، ويشمل ذلك اثنين وعشرين عالمًا . ٢- قسم عرف بهم بإيجاز ، ويشمل ذلك ثلاثة وسبعين عالمًا ، ثم أتبعت ذلك بوقفات وقفتها مع تعريف المراغي بهؤلاء العلماء ، وبتذييل بعنوان " تقسيم البلاغة ثلاثة أقسام ، وجعل تحسين البديع عرضيًّا لا ذاتيًّا " ، وعرضت فيه ما رآه المؤلف تجاه السكاكي في ذلك ، وأدلته التي أيد بها ما رآه ، وناقشته فيما ارتآه وأدلته التي استند إليها مناقشة موضوعية مشفوعة بالأدلة ، ومؤيدة بالبراهين التي تدحض رأيه ، وتبطل أدلته ، أو على الأقل تضعفها ، وتثبت صدق ما رأيته ، وتؤكد ما جنحت إليه .

ثم شفعت ذلك بخاتمة سجلت فيها أهم النتائج والتوصيات التي أسفر عنها هذا البحث ، ثم ذيلت هذه الدراسة بثَبَت للمصادر والمراجع التي تم الرجوع إليها ، والاستفادة منها ، ثم بمَسْرَد للموضوعات التي تناولتها في هذا البحث .

الكلمات المفتاحية: (تاريخ، البلاغة، رجالها، المراغي، دراسة، بلاغية، نقدية).

(The history of rhetoric and the definition of its men) by Ahmed Mustafa El Maraghy
(Critical Rhetoric Study)

Talaat Abdullah Basyouni Abu Hilweh
Department of Rhetoric and Criticism in the College of Islamic and Arabic Studies, Al-Azhar University / Desouk Branch, Arab Republic of Egypt.
E-mail: talatAbdalla.2130@azhar.edu.eg

Abstract: The book "The History of Rhetoric Study and Defining its Men" by Al-Maraghi is an important link in knowing the journey of Arabic rhetoric and its graphic itinerary from its inception until the modern era. Folded in time, or lost in oblivion, it is also a luminous lamp by which its owner revealed many aspects of the personalities of rhetoric people whom he translated.

I started this research with an introduction in which I dealt with the importance of this topic, the most important reasons for choosing it, the most important difficulties that confronted me in it, and the statement of the structure in which this research came in its form, including an introduction, a preliminary, two topics and a conclusion.

As for the introduction, it came in two points: Firstly, I dealt with the definition of the author, in terms of his name, genealogy, birth, origin, works, functions, death, and books, and in the second dealt with the definition of the book "The History of Rhetoric Studies and the Definition of its Men" under study, in terms of its material, And its artistic value, reason and history of its composition.

As for the first topic, it is entitled "The Rise of the Studies of Rhetoric and the Phases of Authorship in It", and it dealt with the five phases mentioned by Al-Maraghi, which the Arab rhetoric went through from its inception until the modern era, and followed that topic with an appendix titled "I put my knowledge of the meanings and the Sebaweih's statement", showing what he saw The

author in this, and the evidence that supported his opinion in support of what he saw and went to.

As for the second topic, it is entitled "Introducing Rhetoric Scholars", and they are the ninety-five scholars whom Al Maraghi was known as the men of rhetoric, and in which these scholars divided two sections: 1 - A section known by them as redundancy, and that includes twenty-two Scholars. 2 - A section that was briefly known to them, and that includes seventy-three scholars, then followed by pauses that stood with the definition of the margins with these scholars, and an appendix entitled "The division of rhetoric into three sections, and made the improvement of eloquence accidental rather than subjective", and presented in it what the author saw towards Sakkaki in that, And the evidence in which he supported what he saw, and discussed it with what he saw and the evidence on which he relied on an objective discussion accompanied by evidence, and supporting evidence that refutes his opinion, nullifies his evidence, or at least weaken it, and confirms the truth of what I saw, and confirms what he drifted towards.

Then I accompanied this by a conclusion in which the most important results and recommendations that resulted from this research were recorded, then this study was appended to the sources and references that were referred to, and benefiting from them, then a glossary of the topics which this research used.

Key words: (history, rhetoric, its men, al-Maraghi, study, rhetoric, criticism).

المقدمة

الحمد لله على ما أنعم ، وعَلَّم من البيان ما لم نعلم ، وأنزل القرآن فأعيت بلاغته البلغاء ، وأعجزت فصاحته الفصحاء ، ودحض ببيان يأخذ بالألباب شُبَهَ ألباب البراعة ، وألقى في مسارح أذهانهم من المعاني ما تعجز عنه العبارة ، وشَرَّفَ العرب بأشرف إنسان ، وأنطقهم بأعرب لسان ، وأحلَّ لغتهم من بين سائر اللغات محل الغرة من الجبين ، ورفع منارها بكتابه العربي المبين ، وصلى الله وسلم على من نطق بأفصح اللغات ، وأبان بأرجح البلاغات ، وملك ناصية البلاغة وزمام الفصاحة ، وعلى آله وعِتْرته وصحبه المنتخبين المختارين ذوي الفطانة والرجاحة.

وبعد،،،

فإن علم البلاغة من أجلّ العلوم قدرًا ، وأعظمها جدوى ، وأولاها وأحقها بالتعلم ؛ إذ به يدرك إعجاز القرآن الكريم ، كتاب الله الخالد ، والمعجزة الباقية الدالّة على صدق النبوة ، وكفى بهذا شرفًا ونبلًا ، يقول أبو هلال العسكري : " إنّ أحقّ العلوم بالتعلم ، وأولاها بالتحفظ بعد المعرفة بالله – جلّ ثناؤه – علم البلاغة ، ومعرفة الفصاحة ، الذي به يعرف إعجاز كتاب الله – تعالى – الناطق بالحق ، الهادي إلى سبيل الرّشد ، المدلول به على صدق الرسالة وصحة النبوة ... وقد علمنا أن الإنسان إذا أغفل علم البلاغة ، وأخلّ بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصّه الله به من حسن التأليف ، وبراعة التركيب ... فينبغي من هذه الجهة أن يقدّم اقتباس هذا العلم على سائر العلوم بعد توحيد الله – تعالى – ومعرفة عدله ، والتصديق بوعده ووعيده ؛ إذ كانت المعرفة بصحة النبوة تتلو المعرفة بالله جل اسمه"[(١)] ؛ ولذا

(١) كتاب الصناعتين : ١ ، ٢ / أبو هلال العسكري / تحقيق : علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم / دار إحياء الكتب العربية / الطبعة الأولى / ١٣٧١ هـ – ١٩٥٢م .

يمكن اعتبار علم البلاغة علمًا قرآنيًا ، حيث عرفه العلوي من بين ما عرفه به بأنه "هو العلم الذي يمكن معه الوقوف على معرفة أحوال الإعجاز"(١).

وإنّ فضل هذا العلم واضح جليّ ، لا يحتاج إلى دليل أو برهان على إثباته، وإن من يحاول إقامة الدليل على إثبات فضله بالبرهان يكون كمن يتكلف الدليل لإثبات إشراق الشمس وضياء النهار ، وخليق بمن يَدْلِف إلى روضة هذا الفن النضير ، أن يعرف سبب وضعه ، وكيفية نشأته ، ورحلة مسيرته ، والأطوار والمراحل التي مرّ بها حتى استوى قائمًا ، وأن يقف على تاريخ رجاله الذين عبّدوا مَهْيَعه ، وذللوا سبيله ، وعلى عصورهم المختلفة ، وأوطانهم المتغايرة ، وعلى ما شجر بيهم من خلاف في الآراء رغبة منهم في استكشاف الحقيقة واستكناهها ، وأن يلم بمؤلفات هذا العلم الكثيرة المنازع ، والمتعددة الاتجاهات، والمختلفة المناهج ، وبترتيبها الزمني ، وبالصلة بينها نقلًا أو تعليقًا أو نقدًا ، وقد جاء كتاب " تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها " للعلامة الكبير الأستاذ / أحمد مصطفى المراغي دراسة رائعة وسديدة ضمن سلسلة من الدراسات التي تناولت هذا الفن وتطوره ، منها ما أُلِّفَ قبل كتاب المراغي هذا مثل كتاب " أمالي علي عبد الرازق في علم البيان وتاريخه "(٢)، وقد سبقت لي دراسة له بعنوان " أمالي علي عبد الرازق في علم البيان وتاريخه في ميزان النقد والبلاغة "(٣)، ومنها ما جاء بعده مثل كتاب " البيان العربي " للدكتور / بدوي طبانة، وكتاب " البلاغة تطور وتاريخ " للدكتور /

---

(١) الطراز : ١ / ١١ / تحقيق : د / عبد الحميد هنداوي / المكتبة العصرية / صيدا / بيروت / الطبعة الأولى / ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .

(٢) حيث أُلِّفَ كما ذكر مؤلفه في أوائل سنة ثلاثين وثلاثمائة وألف . ينظر : أمالي علي عبد الرازق في علم البيان وتاريخه : ٢ / مطبعة مقداد / التابعة لمكتبة النيل / مصر / ١٣٣٠ هـ .

(٣) بحث محكم ومنشور في مجلة الدراية في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق / جامعة الأزهر / العدد السابع عشر ٢٠١٧ م .

شوقي ضيف ، إلى غير ذلك مما كتب في هذا الشأن ، ولا يخفى ما انفرد به كتاب المراغي من التعريف برجال البلاغة ، بالإضافة إلى ما انفرد به أيضًا في آرائه ومنهجه في تناوله لتاريخ هذا العلم .

وبمطالعة سجل الدراسات البلاغية لم أجد دراسة مستقلة تتناول هذا الكتاب، وتبرز دوره في خدمة هذا الفن ، ومن هنا أخذت أسأل نفسي قائلًا : لماذا لم يحظ هذا الكتاب بدراسة بلاغية نقدية تكشف عنه النقاب ، وتميط عنه اللثام ، وتُجَلِّي ما فيه ، وتظهر ما له وما عليه ؟ ومن هنا شمّرت عن ساعد الجد مستعينًا بالله – سبحانه تعالى – ومتسلحًا بالجد والاجتهاد ، ومُتَدَرِّعًا بالصبر والمثابرة ، ومتحليًا بالموضوعية والإنصاف ، وشرعت في هذه الدراسة ؛ لعلي بها أكون قد وضعت لبنة في صرح البلاغة العربية الشامخ .

وقد دفعني إلى دراسة هذا الموضوع وحَفَزَني عليها ، وحدا بي إليها عدة بواعث وأسباب من أهمها ما يلي :

١– القيمة العالية التي تضمنها هذا الكتاب ، حيث إنه يعد حلقة من حلقات دراسة تاريخ البلاغة العربية ، بالإضافة إلى كونه يعد سجلًّا حافلًا في التعريف برجالها ، وإلقاء الضوء على مؤلفاتهم البلاغية[١].

٢– عدم وجود دراسة مستقلة تتناول هذا الكتاب بالعرض والنقد والمناقشة، وتبرز مكانته في حقل الدراسات البلاغية ، وتستجلي ما له وما عليه ، وتسلط الضوء على محاسنه التي أسداها لبلاغة اللسان العربي المبين .

---

(١) وذكر د / محمد إبراهيم شادي أنه أحد أهم ثلاثة كتب تناولت تاريخ نشأة البلاغة العربية ، وهي : " تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها " للمراغي ، و " البيان العربي " د / بدوي طبانة ، و " البلاغة تطور وتاريخ " د / شوقي ضيف . ينظر: خطوات البحث البلاغي والنقدي بين النشأة والمنهج : ٨ / عالم الثقافة / القاهرة / الطبعة الأولى / ١٤٣٩ هـ – ٢٠١٨م .

٣- ما وجدته في هذا الكتاب من نقاشات ونقدات لبعض علماء البلاغة ، هذا بالإضافة إلى ما فيه من آراء خالف فيها بعض من تقدموه ، وانفرد هو بها ، الأمر الذي جعل الحاجة ملحة والضرورة ماسة لدراسته .

وقد واجهني في هذا البحث عدة صعوبات كانت كفيلة بأن تثنيني عن مواصلته ، إن لم تكن صارفة لي عن البدء فيه ، وداعية إلى الإعراض عنه لولا عون الله - ﷻ- وتوفيقه ، ومن هذه الصعوبات ما يأتي :

١- المعارك التي خاضها المؤلف في كتابه ، وأثارها حول بعض الأمور التي استقر كثير من البلاغيين على غير ما رآه فيها ، ومن ذلك ما رآه من أن سيبويه هو واضع علمي المعاني والبيان[١]، وأنه لا وجه لتقسيم السكاكي البلاغة ثلاثة أقسام ، وجعله البديع عرضيًّا لا ذاتيًّا[٢]، حيث قد استقر في أذهان كثير من علماء البلاغة أن واضع البلاغة العربية عبد الله بن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) ، أو يرجعون بذلك إلى الوراء قليلًا ، فيضعون في حسبانهم الملاحظات والإشارات التي ذكرها وبثها الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) في كتابيه : " البيان والتبيين " و " الحيوان " ، أو التي نثرها وأشار إليها أبو عبيدة (ت ٢٠٨ هـ) في كتابه " مجاز القرآن " .

٢- أن دراسة الكتب التي تتناول تاريخ العلوم ، والتعريف بمؤلفيها - ومنها كتاب المراغي هذا محل تلك الدراسة - تتطلب من الباحث جهدًا شاقًّا ، ومعرفة واسعة ، وإلمامًا كبيرًا ودقيقًا بخط سير العلم الذي يتناوله هذا النوع من المؤلفات ، والمراحل والأطوار التي مرّ بها منذ الميلاد والنشأة إلى الاستقرار والاستقلال والنضج والازدهار ، كل ذلك مع الأخذ في الحسبان بمعرفة منازع المؤلفين ومناهجهم ؛ حتى يستطيع الباحث أن يفهم ما لدى كل مؤلف من أفكار ، ويستطيع كذلك أن يقبل ما يقبل ، ويرفض ما يرفض بالحجة

(١) ينظر : تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ٤٣ - ٥٧ / أحمد مصطفى المراغي / مطبعة الحلبي / مصر / الطبعة الأولى / ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠م .
(٢) السابق : ١١١ - ١٢٠ .

والسلطان ، ويستحسن ما يستحسن ، ويستقبح ما يستقبح بالدليل والبرهان ، وهذه الصعوبة من المخاطرات التي قلّ من يسلم من أن يضل الطريق فيها ، والمعصوم من عصمه الله سبحانه وتعالى .

٣- عدم عزو كثير من النصوص التي نقلها المراغي في كتابه إلى مظانها عزوًا دقيقًا محددًا ، حيث كان يكتفي فقط بذكر المصدر الذي نقل منه واسم صاحبه ، دون أن يشير إلى مكان هذا النص في الجزء والصفحة ، الأمر الذي كان يضطرني إلى الرجوع إلى هذه المصادر لتوثيق هذه النصوص توثيقًا كاملًا ، هذا فضلًا عن تصرفه في بعضها دون إشارة منه إلى ذلك ، ومن ذلك ما نقله عن كلٍّ من الجاحظ وابن المعتز[١]، وقدامة بن جعفر[٢]، والزمخشري[٣]، وابن الأثير[٤]، وغيرهم .

٥- وجود بعض الأخطاء المطبعية ، واضطراب في علامات الترقيم ، هذا بالإضافة إلى الأخطاء في ضبط بعض الأعلام ، الأمر الذي كان يضطرني إلى مراجعة النص ومعاودة قراءته أكثر من مرة ، وتأمله وربطه بسياقه لبيان المقصود منه، والرجوع إلى كنب التراجم لبيان صحة ضبط هذه الأعلام .

٤- عدم وجود دراسات سابقة عن هذا الموضوع للاستهداء بهديها ، والاسترشاد بمنهجها ، والانتفاع بسبيلها ، والاستعانة بها .

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث وخطته أن يأتي في مبحثين يتقدمهما مقدمة وتمهيد ، ويعقبهما خاتمة ، وثَبَت للمصادر والمراجع ، ومَسْرَد للموضوعات التي تناولها هذا البحث .

---

(١) السابق: ١٠ .
(٢) السابق: ١٣ ، ١٤ .
(٣) السابق: ٢٤ .
(٤) السابق: ٢٦ .

أما المقدمة فقد تناولت فيها أهمية هذا الموضوع ، وأهم أسباب دراسته ، وأهم الصعوبات التي واجهتني فيه ، وبيان الهيكل الذي جاء ذلك البحث على صورته .

وأما التمهيد فقد جاء في نقطتين : تناولت في الأولى التعريف بالمؤلف ، وذلك من حيث اسمه ونسبه ، ومولده ، ونشأته ، وأعماله ووظائفه ، ووفاته ، ومؤلفاته، وتناولت في الثانية التعريف بكتاب "تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها" محل الدراسة ، وذلك من حيث مادته ، وقيمته الفنية ، وسبب وتاريخ تأليفه.

وأما المبحث الأول فهو بعنوان " نشأة علوم البلاغة وأطوار التأليف فيها "، وتناولت فيه الأطوار الخمسة التي ذكرها المراغي ، والتي مرت بها البلاغة العربية منذ نشأتها حتى العصر الحديث ، وأتبعت ذلك المبحث بتذييل بعنوان "واضع علمي المعاني والبيان سيبويه"، عرضت فيه ما رآه المؤلف في ذلك، والأدلة التي عضد بها رأيه مؤيدًا ما ارتآه وذهب إليه .

وأما المبحث الثاني فهو بعنوان " التعريف بعلماء البلاغة " ، وهم العلماء الخمسة والتسعون الذين عرف بهم المراغي على أنهم رجال البلاغة ، وقسمت فيه هؤلاء العلماء قسمين : ١- قسم عرف بهم بإطناب ، ويشمل ذلك اثنين وعشرين عالمًا . ٢- قسم عرف بهم بإيجاز ، ويشمل ذلك ثلاثة وسبعين عالمًا ، ثم أتبعت ذلك بوقفات وقفتها مع تعريف المراغي بهؤلاء العلماء ، وبتذييل بعنوان " تقسيم البلاغة ثلاثة أقسام ، وجعل تحسين البديع عرضيًّا لا ذاتيًّا " ، وعرضت فيه ما رآه المؤلف تجاه السكاكي في ذلك ، وأدلته التي أيد بها ما رآه ، وناقشته فيما ارتآه وأدلته التي استند إليها مناقشة موضوعية مشفوعة بالأدلة ، ومؤيدة بالبراهين التي تدحض رأيه ، وتبطل أدلته ، أو على الأقل تضعفها ، وتثبت صدق ما رأيته ، وتؤكد ما جنحت إليه .

وأما الخاتمة فقد رصدت فيها أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها ، وأسفر عنها هذا البحث ، وخلص إليها .

وأما ثَبَت المصادر والمراجع فقد سجلت فيه المصادر والمراجع التي تم الرجوع إليها ، واستقى البحث مادته منها ، واستفاد منها اقتباسًا أو تضمينًا ، وأما مَسْرَد الموضوعات فقد ذكرت فيه الموضوعات التي تناولتها في هذا البحث .

وبعدُ فهذا جهدي – وهو جهد المقلّ – ولكن يكثّره حسن النية ، وإخلاص الطوية ، وصلاح المقصد ، وصدق العزيمة ، فالكمال المطلق لله – تبارك وتعالى – وحده ، والكمال البشري لسيد الثقلين ، وخاتم الأنبياء النبي محمد ﷺ، والعصمة لا تشمل من البشر إلا الأنبياء ؛ ولذا فما كان في هذا البحث من خطأ أو سهو أو نسيان فمن نفسي والشيطان اللذين أسأل الله – ﷻ – أن يعينني عليهما ، ويحفظني من شرورهما ، وما كان فيه من توفيق وسداد فمن الله – ﷻ– وحده ، ولله درّ أبي فِراس الحمداني حيث قال :

إذا كانَ غَيْرُ اللهِ للمَرْءِ عُدَّةً ... أتَتْهُ الرَّزايا مِنْ وُجُوهِ الفَوائِدِ[(١)]

وأسأل الله العَليّ العظيم أن يغفر لي الزلل ، ويتجاوز عن الخلل ، كما أسأله – جل في علاه – أن يجعل عملي في هذا البحث صالحًا ، وقصدي به وجهه خالصًا ، وأن يكتب له الرضا والقبول ، كما أسأل من يقرأه أن يغض الطرف عن الهفوات ، ويتجاوز عن الزلات ، ويقيل العثرات " إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ "[(٢)].

(١) ديوان أبي فِراس الحمداني : ١٠١ / من بحر الطويل / شرح : د / خليل الدوَيْهي / دار الكتاب العربي / بيروت / لبنان / الطبعة الثانية / ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م .

(٢) هود : ٨٨ .

التمهيد

أولًا – التعريف بالمؤلف :

أ – اسمه ونسبه: أحمد بن مصطفى بن محمد بن عبد المنعم المراغي بك[١].

ب – مولده : وُلِدَ في بلدة المراغة بمركز جرجا بمحافظة سوهاج بجمهورية مصر العربية سنة (١٣٠٠ هـ – ١٨٨٣م) [٢].

ج – نشأته : لقد انحدر المراغي هذا من أسرة عريقة في خدمة العلم والقضاء ، توارث القضاء فيها خلف عن سلف ، ولأجل هذا تُلَقَّب بأسرة القاضي[٣]، إلا أن أباه كان مزارعًا في بلدة المراغة ، وكان روح الأسرة واتجاهها العلمي يشده نحو ضرورة تنشئة أبنائه على العلم ، فاتجهوا جميعًا لدراسة العلم الشرعي[٤]، وبدأ أحمد تعلمه في كُتّاب القرية فحفظ القرآن الكريم وجَوَّدَه ، ثم رحل إلى الأزهر الشريف سنة (١٣١٤ هـ) ، فحفظ كثيرًا من متون الفنون ، وتلقى العلم فيه على يد جِلّة من الأشياخ الأفذاذ كالإمام محمد عبده ، ومحمد بخيت المطيعي ، وأحمد الرفاعي الفيومي ، ثم انتقل إلى كلية

---

(١) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ٢١٩ ، الفتح المبين في طبقات الأصوليين : ٣ / ٢٠٢ / عبد الله مصطفى المراغي / محمد أمين دمج وشركاه / بيروت / لبنان / الطبعة الثانية / ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤م ، الأعلام : ١ / ٢٥٨ / خير الدين الزركلي / دار العلم للملايين / بيروت / لبنان / الطبعة الخامسة عشرة / ٢٠٠٢م .

(٢) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ٢١٩ ، الفتح المبين في طبقات الأصوليين : ٣ / ٢٠٢ .

(٣) السابق نفسه .

(٤) تفسير المراغي دراسة منهجية : ١٥ / د / أحمد داود محمد شحروري / دار المأمون عمّان / الأردن / الطبعة الأولى / ١٤٣٢ هـ ٢٠١٢م .

دار العلوم ، وكان قد شارف النهاية في الدراسة الأزهرية ، وتخرج بها سنة (١٣٢٦ هـ - ١٩٠٩م) [١].

د - أعماله ووظائفه : ١- مدرس بالمدارس الأميرية . ٢ - ناظر لمدرسة المعلمين بالفيوم . ٣ - أستاذ للشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم بالسودان . ٤ - أستاذ للغة العربية والشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم ، وذلك بعد عودته من السودان . ٥ - أستاذ لعلوم البلاغة في كلية اللغة العربية[٢].

هـ - وفاته : تُوُفِّيَ - رحمه الله - تعالى - رحمة واسعة - بالقاهرة في اليوم التاسع من شهر يوليو ، سنة (١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م) [٣].

و - مؤلفاته : بعد هذه الرحلة المثمرة بالعطاء ، والتي تَخَرَّجَ على يديه فيها كثير من العلماء ، نجد أنه قد ترك مجموعة من المؤلفات القيّمة التي أثرت المكتبة العربية والإسلامية ، وانتفع بها الطلاب في معاهد العلم المختلفة ، منها : ١ - تفسير المراغي . ٢ - علوم البلاغة . ٣ - تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها (وهو ذلك الكتاب محل الدراسة) . ٤ - مرشد الطالب في علوم البلاغة . ٥ - بحوث وآراء في علوم البلاغة . ٦ - هداية الطالب ، وهو جزآن : الأول في النحو والتصريف ، والثاني في علوم البلاغة . ٧ - تهذيب التوضيح (أو تهذيب أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك في النحو والصرف) بالاشتراك مع الشيخ / محمد سالم علي ، وهو

---

(١) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ٢١٩ ، الفتح المبين في طبقات الأصوليين : ٣ / ٢٠٢ .

(٢) السابق نفسه ، الأعلام : ١ / ٢٥٨ ، معجم المؤلفين : ١ / ٣٠٥ / عمر رضا كحالة / مؤسسة الرسالة / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م .

(٣) الأعلام : ١ / ٢٥٨ ، معجم المؤلفين : ١ / ٣٠٥ ، الأزهر في ألف عام : ٢ / ٨٠ / د / محمد عبد المنعم خفاجي / عالم الكتب / بيروت ، مكتبة الكليات الأزهرية / القاهرة / الطبعة الثانية / ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م ، تفسير المراغي دراسة منهجية : ١٨ .

جزآن : أحدهما في النحو ، والثاني في التصريف . ٨ – الموجز في الأدب العربي . ٩ – المطالعة العربية للمدارس السودانية . ١٠ – الموجز في الأصول . ١١ – الحسبة في الإسلام . ١٢ – الديانة والأخلاق . الرفق بالحيوان في الإسلام . ١٣ – الخطب والخطباء في الدولتين : الأموية والعباسية . ١٤ – زوجات النبي صلى الله عليه وسلم . ١٥ – إثبات رؤية الهلال في رمضان . هذا بالإضافة إلى تعليقاته القيّمة على كتابي الإمام عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، وأسرار البلاغة[١].

ثانيًا – التعريف بكتاب " تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها " :

أ – مادته وقيمته الفنية : تدور مادة هذا الكتاب حول محورين رئيسيين : أما المحور الأول – وهو تاريخ علوم البلاغة – فقد تحدث فيه المؤلف عن نشأة البلاغة ، وأطوار التأليف فيها ، وأما المحور الثاني – وهو التعريف برجالها – فقد تعرض فيه لخمس وتسعين شخصية من علماء البلاغة ورجالها متبعًا في ترتيبهم الترتيب الزمني من حيث سنة الوفاة ، وتناول تعريف كل واحد من هؤلاء من حيث ميلاده ونشأته ومؤلفاته ووفاته مع الإلمام والتعرض لآراء وأفكار بعضهم ومناقشتها في بعض الأحيان ، وتكمن قيمة هذا الكتاب في كونه يعد سجلًّا حافلًا من سجلات تاريخ البلاغة العربية ورجالها ومصدرًا من أهم مصادر دراسة تاريخها ، ومعرفة الأطوار التي مرت بها ، وأهم الأعلام الذين أسهموا في نشأتها وتطورها وازدهارها ابتداء من سيبويه وأبي عبيدة والجاحظ ... ومرورًا بالإمام عبد القاهر والسكاكي والخطيب القزويني ... وانتهاء بالمؤلف نفسه .

ب – سبب تأليفه : لقد أفصح المؤلف في مقدمة كتابه هذا عن سبب تأليفه له فقال : " فقد طلب إليّ طلبة تخصص المادة – شعبة البلاغة والنقد

(١) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ٢٢٠ ، الفتح المبين في طبقات الأصوليين : ٣ / ٢٠٣ . ٢٠٤ ، الأعلام : ١ / ٢٥٨ .

– في كلية اللغة العربية من الأزهر الشريف أن أكتب لهم مقالة توضح نشأة علوم البلاغة ، وتشرح الأطوار التي مرت بها منذ بدء التصنيف حين كانت بحوثًا مبعثرة في كتب النقد والموازنات وإعجاز القرآن ، إلى أن صارت ذات كيان خاص بكتابي عبد القاهر الجرجاني : " دلائل الإعجاز " و " أسرار البلاغة " ، وتُبَيِّن أثر المنطق والفلسفة في تأليف السكاكي ومن بعده ، وتُرْشِد الناظر فيها إلى ما طرأ من التحول في اتجاه أبحاث المؤلفين ، وتوافرهم على خدمة الكتب دون خدمة الفن ، مما كان مدعاة لوقوف الحركة الفكرية في مسائل العلم الحقيقية ... كما تُبَيِّن الطريق إلى معرفة رجالات هذه الفنون الذين أفادوا العلم وأهله ... ها هي ذي مقالة جاءت تختال في حِلاها وحُلَلها، وتُجَلِّي عن الغرض بأدق تعبير وأوضح بيان"[(١)].

ج – تاريخ تأليفه : المتأمل في مؤلفات المراغي يجد أن له خمسة مؤلفات في الإنتاج البلاغي ، وهذا الكتاب آخرها في الزمن ، حيث جاءت طبعاتها كالتالي :

١ – علوم البلاغة / مطبعة محمد محمد مطر / العتبة الخضراء / القاهرة / ١٣٣٥ هـ – ١٩١٧م . وقد نَصَّ المراغي في آخره على تاريخ انتهائه من تأليفه فقال : " فرغت من تهذيب هذا الكتاب وتنقيحه ، بعد وضعه وترتيبه لتسع خلون من شوال سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية بمدينة الخرطوم ، حاضرة الديار السودانية "[(٢)].

٢ – هداية الطالب (الجزء الثاني الخاص بالبلاغة) / بدون اسم دار النشر / الطبعة الأولى / ١٣٤٣ هـ – ١٩٢٤م .

---

(١) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ٧ ، ٨ .

(٢) علوم البلاغة : ٣٨٩ / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الثالثة / ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣م .

٣ – مرشد الطالب في علوم البلاغة / لم أعثر على تاريخ تأليفه ، ولكن يبدو من عنوانه أنه أُلِّفَ للمرحلة الثانوية متزامنًا مع " هداية الطالب " ، وورد في الحديث عن مؤلفات المراغي أنه " لم يطبع بعد"(١).

٤ – بحوث وآراء في علوم البلاغة / مطبعة العلوم / القاهرة / الطبعة الأولى / ١٣٥٩ هـ – ١٩٤٠م .

٥ – تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها / مطبعة الحلبي / مصر / الطبعة الأولى / ١٣٦٩ هـ – ١٩٥٠م

وقد ذكر المؤلف أن تاريخ تأليفه هذا الكتاب هو الثلاثون من شهر ربيع الأول سنة ستين وثلاثمائة وألف هجرية ، الموافق للسابع والعشرين من شهر أبريل سنة إحدى وأربعين وتسعمائة وألف ميلادية(٢). وبناء على ذلك يُعَدُّ كتاب " تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها " آخر الإنتاج البلاغي للمراغي، وبهذا نستطيع أن نقول: إن هذا الكتاب حمل إلينا آخر ما توصل إليه في فكره البلاغي .

(١) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ٢٢٠ .

(٢) السابق : ٨ .

المبحث الأول

نشأة علوم البلاغة وأطوار التأليف فيها

لقد تحدث المؤلف في هذا المبحث عن نشأة علوم البلاغة وتطورها ، وأطوار التأليف فيها محددًا مدة كل طور ، وجاء ذلك في خمسة أطوار ابتداء من الطور الأول الذي هو بعنوان " من عصر سيبويه إلى عصر عبد القاهر " ، ومرورًا بالطور الثاني ، وهو بعنوان " عصر عبد القاهر والزمخشري وابن الأثير " ، والثالث وهو بعنوان " عصر السكاكي والعضد الإيجي والطيبي والخطيب القزويني وبدر الدين بن مالك " ، والرابع وهو بعنوان " عصر الشروح والحواشي " ، وانتهاء بالطور الخامس ، وهو بعنوان " التأليف في العصر الحاضر " ، ثم أتبع هذه الأطوار بتذييل بعنوان " واضع علمي المعاني والبيان سيبويه " ، كل ذلك بالعرض والمناقشة والاستدلال ، الأمر الذي يدل على قدرة فائقة ، ومهارة بارعة ، وتمكن قوي ، وفهم ثاقب لما يعرضه ويناقشه ، وذلك ما يتضح لنا من خلال عرضنا لهذه الأطوار ، والوقوف معها طورًا بعد آخر ، وذلك على النحو التالي :

أولًا– الطور الأول " من عصر سيبويه إلى عصر عبد القاهر ":

لقد تناول في هذا الطور تعريف البلاغة ، وذكر أن القدماء كانوا يستخدمون كلًّا من الفصاحة والبلاغة بمعنى واحد مستدلًّا على ذلك بقول الجوهري : " البلاغة : الفصاحة "[(١)]، وقوله أيضًا " رجل فصيح ، وكلام فصيح : أي بليغ "[(٢)]، وأن البلاغيين قديمًا كثيرًا ما كانوا يستخدمون لفظتي الفصاحة والبلاغة ، فيقولون : كلام فصيح ، وكلام بليغ ، ويعنون بذلك الكلام الذي استوفى الشروط التي ذكرها علماء البلاغة فيما بعد ، وعنوا

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية / مادة : بلغ / تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار / دار العلم للملايين / الطبعة الرابعة / ١٩٩٠م .

(٢) السابق / مادة : فصح .

بالكلمة الفصيحة الكلمة السالمة من الثقل في النطق ، والغرابة في الاستعمال، ومخالفة قواعد التصريف ، واستطرد المؤلف قائلًا : " وتبع هذا أن يقال : متكلم بليغ أو فصيح ، إذا أتى بالكلام الجامع لتلك الخصال الحميدة التي بَيَّنها المؤلفون في هذه الفنون أمثال الجاحظ في " البيان والتبيين " ، والمُبَرِّد في كتابي " الكامل " و " البلاغة "، وابن دريد في كتاب " الجمهرة "، والآمدي في كتاب " الموازنة "[(١)].

ويؤخذ على المراغي هنا أنه ذكر كتاب " البلاغة " للمُبَرِّد ضمن الكتب استخدم فيها أصحابها البلاغة والفصاحة بمعنى واحد ، في حين أن هذا الكتاب لم يتطرف فيه المُبَرِّد لهذا الأمر ، وإنما كان هذا الكتاب عبارة عن رسالة أجاب فيها المُبَرِّد عن سؤال أحمد بن الواثق له عن أيّ البلاغتين أفضل، بلاغة الشعر أم بلاغة النثر[(٢)]؟

وذكر أن لفظة بلاغة أطلقت في العصور المتأخرة على العلوم الثلاثة: المعاني والبيان والبديع ، وأن أول من استعملها هذا الاستعمال هو السكاكي، حيث كان العلماء قبله يسمونها تارة بعلم البديع كما فعل عبد الله بن المعتز، وتارة أخرى بعلم البيان كما فعل الجاحظ ، وحينًا بعلوم النقد كما فعل قدامة بن جعفر ، وحينًا آخر بصناعتي الشعر والنثر كما فعل أبو هلال العسكري ، وأن مباحث هذه العلوم لم تذكر إلا تبعًا لبيان أسرار فصاحة النظم والنثر[(٣)].

وابتدأ المراغي حديثه عمّن تناولوا المباحث البلاغية في مؤلفاتهم بإمام النحاة سيبويه في " الكتاب "، حيث تعرض أثناء حديثه عن بعض قواعد الإعراب لشيء من أسرار التراكيب ، ووجه الدقة في استعمالها[(٤)]، ثم اكتفى

(١) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ٩ .
(٢) البلاغة : ٨٠ / المُبَرِّد / تحقيق : د / رمضان عبد التواب / مكتبة الثقافة الدينية / القاهرة / الطبعة الثانية / ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م .
(٣) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ٩ .
(٤) السابق : ١٠ .

المؤلف هنا بهذه الإشارة عن سيبويه (ت ١٨٠ هـ) حيث أفرد له فصلًا مستقلًا بحديث مطول بعد ذلك تحت عنوان " واضع علمي المعاني والبيان سيبويه"[١].

كما ذكر أن أبا عبيدة (ت ٢٠٨ هـ) قد سلك نفس المسلك في كتابه " مجاز القرآن " ، حيث ذكر فيه الطرق التي كانت تستخدمها العرب في أساليب كلامها مبينًا ما فيها من جمال فني ، ودقة في التعبير[٢].

كما أشار إلى ما ذكره الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) مما ينبغي توافره في الخطيب من رباطة الجأش ، وجهارة الصوت ، وحسن المخارج ، ومعرفة الألفاظ التي يجدر به الابتعاد عنها ، هذا بالإضافة إلى معرفته بمواضع الإيجاز ومواضع الإطناب ، ووجه الحسن في كلٍّ منهما[٣].

ثم انتقل المؤلف إلى عبد الله بن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) ، وذكر أنه جاء بعد الجاحظ بكتابه " البديع " ، وجعله فتحًا مبينًا في التأليف في البديع ، حيث كان أول من ألف فيه ، ونقل عنه قوله الذي يفيد سبقه في هذا الفن دون أن يغلق الباب على من جاء بعده ، وأراد الإضافة على ما ذكره : " وما جمع فنون البديع ، ولا سبقني إليه أحد ... ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئًا إلى البديع ، ولم يأت غير رأينا ، فله اختياره "[٤]، وذكر بعد ذلك في

---

(١) السابق : ٤٣ – ٥٧ .

(٢) السابق : ١٠ .

(٣) السابق نفسه .

(٤) البديع : ٧٢ ، ٧٣ / عبد الله بن المعتز / تحقيق : عرفان مطرجي / مؤسسة الكتب الثقافية / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢م . ونقل المراغي هذا النص متصرفًا فيه حيث قال ناقلًا عن ابن المعتز: "ما أَلَّفَ قبلي فنون البديع أحد ، ومن أراد أن يزيد على ما فعلنا فله اختياره" .تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها: ١٠.

أثناء ترجمته له أنه يعني بالبديع معنى أعم مما اصطلح عليه المتأخرون ، حيث أطلقه على كل فنون البلاغة[١].

وذكر أن قدامة بن جعفر (٣٣٧ هـ) جاء بعد ابن المعتز ، وسار على نهجه في كتابيه " نقد الشعر " و " نقد النثر " ، واتفق معه في بعض الفنون ، وزاد عليه بعضًا آخر ، وكذلك فعل المُبَرِّد (٢٨٥ هـ) في كتابه " الكامل " ، حيث حلى جيد مباحثه في النحو والصرف والأدب بشيء من مباحث البلاغة كالتشبيه المصيب والاستعارة ومواضع الإيجاز والإطناب[٢].

ثم استطرد المراغي حديثه عن المُبَرِّد قائلًا : " ولم يصل إلينا كتابه " البلاغة " ؛ لنعلم المَهْيَع الذي سلكه ، والطريق التي رسمها في تأليفه "[٣].

وكلام المؤلف هنا يدل على أمانته العلمية حيث لم يقل رأيه في هذا الكتاب ؛ لأنه لم يصل إليه ، وهذا كلام جيد ، ويعذر فيه المؤلف ، ولكن قوله قبل ذلك مشيرًا إلى أن البلاغة والفصاحة بمعنى واحد : " وتبع هذا أن يقال : متكلم بليغ أو فصيح ، إذا أتى بالكلام الجامع لتلك الخصال الحميدة التي بَيَّنها المؤلفون في هذه الفنون أمثال الجاحظ في " البيان والتبيين " ، والمُبَرِّد في كتابي " الكامل " و "البلاغة" ، وابن دريد في كتاب " الجمهرة "، والآمدي في كتاب "الموازنة "[٤] يشير إلى علمه بهذا الكتاب، واطلاعه عليه، حيث ذكره ضمن الكتب التي استخدمت لفظتي الفصاحة والبلاغة بمعنى واحد.

ثم انتقل المؤلف بالحديث عن جهود أرباب الموازنات بين الشعراء مبينًا ما لهم من جهود بذكر بعض المباحث البلاغية ضمن موازناتهم فقال : " وبعدئذ أتى أرباب الموازنات بين الشعراء كـ " الموازنة بين أبي تمام والبحتري " لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي ، و " الوساطة بين المتنبي وخصومه " ،

(١) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ٧٨ .
(٢) السابق : ١٠ .
(٣) السابق نفسه .
(٤) السابق : ٩.

فذكروا في أثناء بحوثهم مباحث جليلة من هذه الفنون اقتضاها حسن الشرح والبيان في وجوه المفاضلة بين الشاعر والشاعر ، أو الكاتب والكاتب "[١].

ونلحظ هنا أن المؤلف ذكر كتاب " الموازنة بين أبي تمام والبحتري " منسوبًا إلى صاحبه الآمدي (ت ٣٧١ هـ)، وذكر كتاب " الوساطة بين المتنبي وخصومه " غير منسوب إلى صاحبه القاضي الجرجاني (ت ٣٩٢ هـ)، وهذا قد يُوْهِم القارئ أن الكتابين للآمدي، أو أن المؤلف لم يعلم صاحبه.

ثم واصل المؤلف حديثه عن نشأة البلاغة وتطورها مشيرًا إلى دور العلماء الذين ألفوا في قضية الإعجاز القرآني فقال : " وقريب من هذا ما فعله الذين ألفوا الكتب في إعجاز القرآن كالجاحظ والباقلاني والرماني وعبد القاهر"[٢].

ولا يخفى أثر قضية الإعجاز القرآني في نشأة البلاغة وتطورها ، حيث نشأت البلاغة وتطورت في أحضانها ، ونمت وازدهرت في أكنافها .

ثم أشار المؤلف إلى نقطة مهمة ، وهي ما صنعه بعض العلماء من المفاضلة بين أساليب القرآن الكريم وما شاكلها مما استعمله العرب في العصرين الجاهلي والإسلامي ، ومما يظهر فيه ذلك بجلاء كتاب " إعجاز القرآن " للباقلاني ، وكذلك – وهو قريب من المَهْيَع الذي سلكه الباقلاني – أبو عبيدة في كتابه " مجاز القرآن " ، حيث ذكر كثيرًا من الأساليب التي جاءت في القرآن الكريم على المنهج الذي كانت تسلكه العرب في كلامها[٣]، ثم نقل المؤلف عن أبي عبيدة كثيرًا من النماذج والشواهد التي توضح ذلك للقارئ ، وتبينه له وتؤكده[٤]، ثم قال مبينًا قيمة كتاب أبي عبيدة لما احتواه من

(١) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ١٠ ، ١١ .
(٢) السابق : ١١ .
(٣) السابق نفسه .
(٤) السابق : ١١ – ١٣ .

فوائد ولطائف : " والكتاب كله محاسن ولطائف ، وفوائد وفرائد من فنون الفصاحة لا يستغني عن معرفتها أديب "[١].

كما أشار إلى أن أبا منصور الثعالبي (ت ٤٣٠ هـ) دَرَجَ في كتابه " فقه اللغة وسر العربية " على سنن أبي عبيدة في كتابه " مجاز القرآن " ، واقتبس الكثير منه ، وخاصة في القسم الثاني " سر العربية " ، ثم استطرد قائلًا : " وتغيير الأسماء لا يضير إذا اتحدت الأغراض والمقاصد "[٢]، ومن يرجع إلى هذين الكتابين يتبين له صدق ذلك ، ويتأكد له .

ثم أشار المؤلف مبينًا سذاجة طبيعة مؤلفات هذا الطور مستثنيًا من ذلك كتابي " نقد الشعر " و " نقد النثر " لقدامة بن جعفر فقال : " وقصارى القول أن المؤلفات في هذا الطور ساذجة ليس فيها شيء من التدقيق في التعريفات والضوابط ، ولم يزنها مؤلفوها بمعيار العلم ، ولم يصبغوها بتلك الصبغة التي ظهرت بعض الظهور في الطور الثاني ، وبوضوح في الطورين الثالث والرابع، حاشا كتابي " نقد الشعر" و " نقد النثر" لقدامة المتوفى سنة (٣٣٧ هـ) ، ففيهما شيء من ملح المنطق يظهر خفيفًا في تعريفاتهما"[٣].

ووَصْفُ المؤلف لمؤلفات هذا الطور بأنها ساذجة ليس فيها شيء من التدقيق في التعريفات والضوابط باستثناء كتابي قدامة بن جعفر أمر يجانبه كثير من الصواب والإنصاف ، ولو قال – مثلًا – : إن بعض هذه المؤلفات أو كثير منها فيه ضعف أو اضطراب في ضبط المصطلحات ووضع الحدود والتعريفات لكان ذلك أقرب إلى الحقيقة والإنصاف ، ومن ينظر – مثلًا – إلى تعريفات المُبَرِّد وابن جني وأبي هلال العسكري يتبين له ما فيها من دقة وضبط إلى حد كبير .

---

(١) السابق : ١٣ .
(٢) السابق نفسه .
(٣) السابق نفسه .

ونقل المؤلف عن قدامة تعريفين وتعليقه عليهما ببيانهما واستخراج محترزاتهما ؛ ليدلل بذلك على استثنائه لكتابيه من حكمه الذي حكم به على مؤلفات هذا الطور .

أما التعريف الأول فهو تعريفه للبلاغة حيث قال في " نقد النثر " : "وحَدّها عندنا أنه القول المحيط بالمعنى المقصود ، مع اختيار الكلام ، وحسن النظام، وفصاحة اللسان. وإنما أضفنا إلى الإحاطة بالمعنى اختيار الكلام ؛ لأن العامّيّ قد يحيط قوله بمعناه الذي يريده إلا أنه بكلام مرذول من كلام أمثاله ، فلا يكون موصوفًا بالبلاغة ، وزدنا فصاحة اللسان ؛ لأن الأعجميّ واللحّان قد يبلغان مرادهما بقولهما ، فلا يكونان موصوفين بالبلاغة ، وزدنا حسن النظام ؛ لأنه قد يتكلم الفصيح بالكلام الحسن الآتي على المعنى ، ولا يحسن ترتيب ألفاظه ، وتصيير كل واحدة منها مع ما يشاكلها ، فلا يقع ذلك موقعه "(١).

وعلق المراغي على كلام قدامه هنا بما يؤكد استثناءه لكتابيه من حكمه بالسذاجة على مؤلفات هذا الطور فقال : " فهأنت ذا تراه سلك الطريق المنطقي ، وذكر محترزات التعريف "(٢).

وأما التعريف الثاني فهو تعريفه للشعر ، وقد مَهَّدَ له بقوله : " وتجد مثل هذا في " نقد الشعر ، فقد عَرَّفَ الشعر تعريفًا منطقيًّا "(٣)، ثم نقل تعريف قدامة له بأنه " قول موزون مُقَفًّى يدل على معنى . فقولنا " قول " دالّ على أصل الكلام الذي هو بمنزلة الجنس للشعر ، وقولنا : " " موزون " يفصله مما ليس بموزون ، إذ كان من القول موزون وغير موزون ، وقولنا : " مُقَفًّى "

(١) نقد النثر : ٧٦ ، ٧٧ / قدامة بن جعفر / تحقيق : عبد الحميد العبادي / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م ، وينظر : تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ١٣ ، ١٤ .

(٢) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ١٤ .

(٣) السابق نفسه .

فصل بين ما له من الكلام الموزون قوافٍ وبين ما لا قوافي له ولا مقاطع ، وقولنا : " يدل على معنى " يفصل ما جرى من القول على قافية ووزن مع دلالة على معنى مما جرى على ذلك من غبر دلالة على معنى ... فإذ قد تبيّن أن ذلك كذلك، وأن الشعر هو ما قدمناه ، فليس من الاضطرار أن يكون ما هذه سبيله جيدًا أبدًا، ولا رديئًا أبدًا، بل يحتمل أن يتعاقبه الأمران"[١].

ثم استطرد المؤلف، فانتقل بالحديث إلى بعض العلماء الذين ظهرت فلسفة وضع اللغة في مؤلفاتهم فقال : " كذلك تجد في هذا العصر نوعًا جديدًا من الفلسفة خفيف الظل ، للنفس إليه حنين ، ولها إليه التياع وشوق ؛ ذاك أنها فلسفة في وضع اللغة ، وبيان حكمة واضعها ، ودقيق صنعه ، وأنه لم يضع الألفاظ بحسب ما اتفق له ، بل راعى الذوق في أجراس ألفاظها ، واستطالة كلماتها أو قصرها ، ولاءم بين مخارج حروفها ، فجاءت من التناسب والدقة كما أحب واشتهى "[٢].

وتناول بالحديث ممن خاضوا غمار هذا الأمر وأبدعوا فيه فارس حلبة هذا الميدان أبا علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) ، وتلميذه النجيب الفيلسوف العربي أبا الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) ، فهو نسيج وحده ، وفريد عصره في بيان أسرار اللغة ، ودقة وضعها ، وأخذ ينقل عن ابن جني بعض النقول في حديثه عن فلسفة وضع اللغة ، وأسرار جمالها ، وتصاقب ألفاظها مع معانيها ، وعلاقة أجراس حروفها بما تدل عليه ، وغلبة الفروع على الأصول، وهو ما يعرف لدى البلاغيين بالتشبيه المقلوب[٣]، ثم علق المراغي على ذلك مبديًا إعجابه بهذه الفلسفة اللغوية لتناسقها مع لغة العرب فقال : " فانظر –

---

(١) نقد الشعر : ٦٤ / قدامة بن جعفر / تحقيق : د / محمد عبد المنعم خفاجي / دار الكتب العلمية/ بيروت/ لبنان / بدون تاريخ ، تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ١٤.

(٢) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ١٤ .

(٣) السابق : ١٥ – ١٩ .

رعاك الله – إلى تلك الفلسفة التي تراها تكاد تسيل رقة ، ولها في النفوس محبة ومِقة ؛ لأنها من صميم لغتنا ، وجوهر أساليبها ، وقد قال ابن زيدون : واللبيب يَحِنّ إلى وطنه حنين النجيب إلى عَطَنه "(١).

ومما تجدر الإشارة إليه أن البلاغة في مؤلفات هذا الطور ممتزجة بالأدب، وصادرة عن الذوق، الأمر الذي يكسب دارسيها ذوقًا بلاغيًّا ، وحسًّا أدبيًّا ونقديًّا .

ثانيًا – الطور الثاني " عصر عبد القاهر والزمخشري وابن الأثير " :

لقد تحدث المراغي في هذا الطور عن هؤلاء الأعلام الثلاثة ، وجاء حديثه عن أمرين : الأمر الأول هو حديثه عن الجهود البلاغية لكل واحد منهم ، والأمر الثاني هو حديثه عن طبيعة أسلوب كل واحد منهم بنوعيه : العلمي والأدبي .

أما عبد القاهر (ت ٤٧١ هـ) فقد أشاد المراغي بجهوده في كتابيه : "أسرار البلاغة" و " دلائل الإعجاز " ، حيث أقام بناء البلاغة وشَيَّدَه وأحكمه بأسلوب أدبي رفيع ، وتحقيق علمي بديع ، الأمر الذي جعل كتابيه هذين يُعَدّان أول المؤلفات في هذا الفن ، وجعل بعض البلاغيين يرى أن عبد القاهر هو واضع علوم البلاغة، يقول المراغي: " يبتدئ هذا الطور بأبي بكر عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة (٤٧١ هـ) الذي جمع متفرقات هذا العلم ، وأقام بناءها على أسس متينة ، وركز دعائمها على أرض جدد لا تنهار، وأملى فيه كتابيه: "أسرار البلاغة" و "دلائل الإعجاز" ، وأحكم بناءهما بضرب الأمثلة والشواهد مع التحقيق العلمي البديع الذي حاكه بلسان عربي مبين ، وقرن فيهما بين وضع القواعد الفنية ، وصوغها بالأساليب الأدبية ، فجمع بين العلم والعمل

---

(١) السابق : ٢٠ . وينظر في عبارة ابن زيدون " واللبيب يَحِنّ إلى وطنه حنين النجيب إلى عَطَنه " تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون : ٢٦ / خليل بن أيبك الصفدي / تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم / المكتبة العصرية / صيدا / بيروت / الطبعة الأولى / ١٩٦٩م .

... وفي الحق أن كتابيه يُعَدّان أول المؤلفات العلمية في هذه الفنون ؛ بما اشتملا عليه من تحقيق علمي للمباحث التي عرض لها ، مع أسلوب أدبي لم يعبه ذلك المِلْح المنطقي الذي خلط به كلامه ، ولم يطغ على أسلوبه كما طغى على أساليب المؤلفين بعده ... فلا عجب إذا رأيناهم يقولون : إن أول من وضع هذه الفنون الإمام عبد القاهر "[١].

وخَلَصَ المراغي إلى نتيجة من وضع عبد القاهر كتابيه مفادها أن عبد القاهر أنشأ بذلك علم البيان كاملًا ، كما فعل سيبويه في " الكتاب " ، حيث أوجد علم النحو كاملًا ، وكما فعل الخليل بن أحمد ، حيث أوجد علم العروض كاملًا ، وأن كل من جاء بعد عبد القاهر فمن نور علمه اقتبس ، ومن ينبوع بحره اغترف ، وأن ما زيد بعده من المسائل فهو من القشور التي لا يضير العالم تركها[٢].

وأشار المؤلف إلى فائدة مهمة ، وهي أن عبد القاهر – وإن كان قد أدخل البحوث الفلسفية في هذا العلم لإثبات قضاياه مسرفًا حينًا ، ومقتصدًا آخر – فقد أبقى على الصبغة الأدبية سليمة لا يعتورها وهن ولا ضعف ، حيث يذكر في التعريفات محترزات القيود كما يفعل المناطقة في مؤلفاتهم ، واستشهد المراغي على ذلك بما نقله عن عبد القاهر من " أسرار البلاغة " في تقسيم الاستعارة ، وأنها نوع من المجاز ، ومبنيّة على التشبيه[٣].

ويؤكد المراغي ذلك بقوله معقبًا على ما نقله عن عبد القاهر : " فهأنت ذا تجده ينسب الطريقة البلاغية الاصطلاحية إلى أهل الخطابة ، ويعتبر أصحاب علم الخطابة ونقد الشعر هم العارفين بهذا الشأن البلاغي ، وأنت جِدّ عليم بأن الخطابة بحث من بحوث المنطق بحسب التقسيم المعروف في هذا العلم "[٤].

---

(١) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ٢٠ .
(٢) السابق : ٢١ .
(٣) السابق : ٢١ ، ٢٢ .
(٤) السابق : ٢٢ .

واستطرد المراغي مشيرًا إلى حب عبد القاهر للبديع اللفظي كالسجع والجناس متى وجد إلى ذلك سبيلًا رغم إنكاره الشديد على من يكثر من ذلك ويسرف فيه ، فيقول : " وشيء آخر تجده في سياق كلامه هو محبته للبديع اللفظي ، فتراه متى وجد للجناس والسجع سبيلًا لا يتورع أن يستعملهما ، مع ما قد يستتبع ذلك من هُجْنة في الكلام بتقديم أو تأخير ، أو استعمال للفظ نابٍ عن موضعه لا يتم السجع أو الجناس إلا به ، فهو – إن كان قد عاب مثل هذا النوع كثيرًا ، وأعاد وأبدأ ، وأزرى بمن يستعمل هذه الأنواع بكثرة ، وجعل المثل لذلك أبا تمام وأبا الفتح البُسْتيّ – وقع في استعمال ما نهى عنه "[١].

وختم المراغي كلامه عن عبد القاهر بما يدل على أمانته العلمية ، ودقته في البحث ، حيث توقف عن بيان الأسلوب الأدبي لعبد القاهر ؛ لأنه لم يصله شيء من آثاره الأدبية ورسائله التي كتبها في أغراض مختلفة ؛ لكي يتاح له الحكم على أسلوبه الكتابي كما حكم على أسلوبه العلمي ، وأنه لو وصل إليه شيء من تلك الآثار لكان الحكم أدق ، والبحث أشمل[٢].

وأما الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) فقد ذكر المراغي أنه سار بتلطف في تفسيره " الكشاف " على نهج عبد القاهر في بيان الأسرار البلاغية في القرآن الكريم[٣]، كما ذكر أن تفسير الزمخشري هذا يُعَدّ عمدة للسكاكي في بحوثه الكثيرة المبعثرة في كتابه " مفتاح العلوم " ، وأشار إلى أن سبب عَدّه

---

(١) السابق : ٢٣ .

(٢) السابق : نفسه .

(٣) السابق : نفسه . تنبيه : لا يفهم من سير الزمخشري في تفسيره على نهج بلاغة عبد القاهر أن الزمخشري لم يضف إلى بلاغة عبد القاهر شيئًا جديدًا ، فقد أضاف إليها كثيرًا من نمط علم عبد القاهر وسمته ، يقول د / محمد محمد أبو موسى : " ولم أعرف أحدًا أضاف إلى علم عبد القاهر علمًا من طبقة علمه إلا الزمخشري " . المسكوت عنه في التراث البلاغي : ١٥٢ / مكتبة وهبة / القاهرة / الطبعة الأولى / ١٤٣٨ هـ – ٢٠١٧م .

الزمخشري من المؤلفين في البلاغة – وإن لم يؤلف فيها كتابًا – يرجع إلى احتواء تفسيره على الكثير من مسائلها ومباحثها، والكثير أيضًا من لآلئ وجواهر أسرارها، وأن القوم من بعده عالة عليه فيها، لا سيما في علم البيان، فكثيرًا ما نقلوا عنه عباراته دون أن يزيدوا عليها أو ينقصوا منها "(١).

كما ذكر المراغي كذلك أن أسلوب الزمخشري الكتابي يتشح بالزخرف اللفظي بهجة ورواء ، حيث سار الزمخشري على أسلوب كُتّاب ومؤلفي عصره الذين كانوا يحلون جيد أساليبهم بحلى البديع والزخرف اللفظي ، ونقل عن الزمخشري ثلاثة نصوص من كتابته ؛ ليبين الأمر ، ويجليه للمتلقي ، ويؤكد بذلك على صدق دعواه ، ومن ذلك قوله في أحدها: "اسْتَمْسِكْ بحَبْلِ مُواخيك(٢)، ما اسْتَمْسَكَ بأَواخيك(٣)، واصْحَبْه ما أَصْحَبَ للحَقِّ وأَذْعَن ، وحَلَّ مع أَشْياعِهِ وظَعَن ، فإنْ تَنَكَّرَتْ أَنْحاؤه ، ورَشَحَ بالباطلِ إناؤه ، فتَعَوَّضْ من صُحْبَتِه، وإنْ عُوِّضْتَ الشِّسْع(٤)، واصْطَرِفْ بحَبْلِه وإنْ أُعْطِيْتَ النِّسْع(٥)" (٦).

وأما ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) فقد ذكر المراغي أن تدقيقاته العلمية أجل من كتابته الأدبية ، وأن ما أودعه في كتابه " المثل السائر " من مسائل البلاغة قلما يوجد في سواه من المؤلفات ، لكن قد تخفى عليك أسرار للبلاغة قد فطن إليها فطاحل البلغاء ، ثم ساق نموذجًا لذلك ، وهو اعتراضه على

---

(١) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ٢٣ .

(٢) مُواخيك : أي الذي يتخذك أخًا له .

(٣) أَواخيك : جمع آخِيّة ، وهي عُرْوة تُثَبَّت في أرض أو حائط وتُرْبَط بها الدابة . لسان العرب / مادة : أخي / ابن منظور / دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي / بيروت / لبنان / الطبعة الثانية / ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م .

(٤) الشِّسْع : سير يُمْسِك النعل بأصابع القدم ، والجمع : شُسُوع . السابق : مادة : شسع .

(٥) النِّسْع : سير عريض طويل تشد به الحقائب أو الرحال أو نحوها ، والجمع : أَنْساع ، ونُسُوع ، ونُسْع . السابق / مادة : نسع .

(٦) أطواق الذهب : ٦٧ / تحقيق : أحمد عبد التواب عوض / دار الفضيلة / القاهرة / بدون تاريخ ، وينظر : تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ٢٤ .

الزمخشري في جَعْله تقديم المفعول في قوله تعالى : "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ"(١) لإفادة الاختصاص ، حيث قصرت الآية الكريمة كلًّا من العبادة والاستعانة على الله – ﷻ – وحده ، ونفتها عن كل من سواه ، ورأى ابن الأثير أن تقديم المفعول هنا لمكان النظم مراعاة للفاصلة القرآنية في هذه السورة التي هي على حرف النون هكذا " الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ "(٢)، وكما في قوله تعالى : " فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى "(٣)، والتقدير : فأوجس موسى في نفسه خيفة ، وإنما قدم المفعول على الفاعل ، وفصل بين الفعل والفاعل بالمفعول والجار والمجرور مراعاة لحسن النظم السجعي ، ولا يخفى – كما يرى المراغي وكذلك أغلب المفسرين وعلماء البلاغة – أن التقديم في : " إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ " للاختصاص ، وأن التقديم للحلية اللفظية لا يجنح إليه البلغاء إلا إذا عدموا الأسرار المعنوية التي يوجه إليها اختيار أسلوب من الكلام دون آخر(٤).

وليس هناك ما يمنع من أن يكون التقديم في " إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ " للاختصاص ومراعاة للفاصلة أيضًا ، ولكن على أساس أن يكون السر المعنوي – وهو الاختصاص – هو الأصل والأساس ، وتكون مراعاة الفاصلة تابعة له ؛ لأن الفواصل القرآنية توابع للمعاني ، وليس العكس .

وأشار المراغي إلى قضية تعرض لها ابن الأثير ، وهي أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ، ثم نُقِلَ إلى وزن آخر أكثر منه حروفًا ، فلابد أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولًا ؛ لأن الألفاظ أدلة على المعاني ، وأمثلة للإبانة عنها ، وأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ، وذلك يكون في مقام المبالغة ، وذلك كما في قولهم : خشن واخشوشن ، وقادر ومقتدر ،

---

(١) الفاتحة : ٥ .
(٢) السورة نفسها : ٢ – ٤ .
(٣) طه : ٦٧ ، ٦٨ .
(٤) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ٢٥ .

فاخشوشن يدل على أن الخشونة أقوى من خشن ؛ وذلك لتكرار عين الكلمة وزيادة الواو ، وكذلك فمقتدر في قوله تعالى: "فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ"(١) أقوى في المعنى من قادر ، وعُدِلَ إليه في هذه الآية الكريمة للدلالة على تفخيم الأمر ، وشدة الأخذ ، وبسط القدرة(٢).

ثم انتقل المراغي إلى بيان أسلوب ابن الأثير في كتابته الأدبية ، فنقل عنه نصين من كتابته : أحدهما في ذم الزمان ، والآخر في وصف مصر ، حيث قال في ذم الزمان : " ولكنها الأيام تبدي لنا من جوهرها كل غريبة ، وتسوسنا سياسة العبد المُجَدَّع(٣) الذي كأن رأسه زبيبة ، وليس للمرء فيما يلقاه من أحداثها نُعْمى كانت أو بُوسى ، إلا أن يكل الأمور إلى وليّها ، فيقول : حاجَّ آدمَ موسى "(٤)، وذكر أن أسلوبه دون المتوسط ، وأن كتابته في رسائله وحل المنظوم ، لا تصلح أن تكون مثالًا تحتذى ، وينسج على منوالها(٥).

ولست مع المراغي في هذا الرأي ، وإنما أرى أن أسلوب ابن الأثير في كتابته الأدبية أفضل مما حكم به عليه ، حيث كانت لديه مهارة بالسجع ، وحل المنظوم ، والاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف ، وكان يُوَشِّي سجعه بالصور البيانية والمحسنات البديعية ، يقول د / شوقي ضيف مبينًا

(١) القمر : ٤٢ .
(٢) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ٢٦ .
(٣) المُجَدَّع : مقطوع الأذن أو الشفة والأنف . لسان العرب / مادة : جدع .
(٤) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ١ / ١٤١ / تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد / المكتبة العصرية / صيدا / بيروت / ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥م ، وينظر : تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ٢٦ .
(٥) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ٢٦ .

منزلة ابن الأثير بين الكُتّاب : " وفي الحق أن ضياء الدين بن الأثير كان من الكُتّاب المجيدين ، ولم تحظ العراق بعده بكاتب ديوانيّ على مثاله "[(١)].

ثالثًا – الطور الثالث " عصر السكاكي والعضد الإيجي والطيبي والخطيب وبدر الدين بن مالك " :

لقد تناول المراغي في هذا الطور خمسة من أعلام البلاغة العربية ورجالها المشاهير ، وتحدث عن كل واحد منهم بما له وما عليه ، وإذا جاز لنا أن نصف هذا الطور فأنا أرى أن أدق وصف له أن يقال عنه : إنه طور التلخيص .

أما السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) فقد ذكر المؤلف أنه بداية هذا الطور ، وذلك بتأليفه كتابه " مفتاح العلوم " ، وأن سلطان الفلسفة والمنطق كان مطاعًا ، ولا يُرَدّ له قول ، ولا ينتقض له أمر ، وأن الأساليب العربية أصبحت تقاس بحدود المنطق وأقيسته ورسومه ، وإن لم يجللها بميسمه ، ويطبعها بطابعه ، لا يقام لها وزن ، ولا يؤبه بها ؛ لذا صار كلٌّ من الشاعر والكاتب يشيد بذكراهما ، ويحلى كلٌّ منهما كلامه بحلاهما ، وبمقدار ما يوضع في كلامهما من مصطلحات يكون علو شأنه ، وارتفاع قدره ، حتى صار الإغراب بذكر الكَمّ والكيف ، والأين والمتى ، والعدم والملكية ، والماهية والكيفية ، وأرسطو وأفلاطون ، وغير ذلك من مصطلحات الفلاسفة والمناطقة وأعلامهما ، شِنْشِنة الأدباء ، وسجية المتأدبين ، ولا تروج سوق لشاعر أو كاتب إلا إذا نهل من معينهما ، وارتوى من حوضهما ، وطغى هذا المنهج على السكاكي إلى حد تحويل البلاغة إلى منطق ذهني لا نبض فيه ولا روح ، ومن يراجع كتاب السكاكي يجد صدق ذلك فيه واضحًا جليًّا[(٢)].

---

(١) عصر الدول والإمارات (الجزيرة العربية – العراق – إيران) : ٤٥٢ / دار المعارف / القاهرة / الطبعة الثانية / بدون تاريخ .

(٢) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ٢٧ ، ٢٨ ، وينظر : البلاغة العربية : ١٤٣ – ١٤٥ / د / علي عشري زايد / مكتبة الآداب / القاهرة / الطبعة العاشرة / ١٤٣٨ هـ – ٢٠١٧م .

وليت الأمر وقف عند استخدام هذه المصطلحات ، والإغراب بهذه الكلمات، بل زاد الأمر بفتنة السكاكي بالمنطق حتى ادعى في كتابه هذا أن الاستعارة والكناية وغيرهما من مسائل علم البيان ما هي إلا أقيسة وأشكال منطقية ، وإلزامات يستخدمها المتكلم لإقناع المخاطب بما يريد إثباته أو نفيه من آراء وأفكار ونظريات(١).

ونقل المراغي نص كلام السكاكي الذي ادعى فيه هذه الدعوى ، حيث قال: "وإذ قد تحققت أن علم المعاني والبيان هو معرفة خواص تراكيب الكلام ، ومعرفة صياغات المعاني ؛ ليُتَوَصَّل بها إلى توفية مقامات الكلام حقها بحسب ما يفي به قوة ذكائك ، وعندك علم أن مقام الاستدلال بالنسبة إلى سائر مقامات الكلام جزء واحد من جملتها ، وشعبة فردة من دوحتها ، علمت أن تتبع تراكيب الكلام الاستدلالي ، ومعرفة خواصّها ، مما يلزم صاحب علم المعاني والبيان "(٢).

وهكذا سار السكاكي في كتابه ، وانتهى به المطاف إلى أن جعل عمل صاحب البيان وعمل صاحب الاستدلال متساويين ، وأخذ السكاكي يستطرد في حشو القسم الخاص بالبلاغة من كتابه بكثير من مصطلحات المنطق وقضاياه ، كما أخذ يربط بينهما ، الأمر الذي جعل الداء دويًّا ، وعلاجه مستعصيًا لا يرجى برؤه ، ويعز الشفاء منه ، وهنا أخذ المراغي بعد نقله عن السكاكي مجموعة من النصوص في هذا الشأن يسائل نفسه قائلًا : " ماذا أرد السكاكي بعقد هذه الصلة بين علوم الاستدلال وعلم البيان ؟ هل أراد أن طرق التعبير لدى العرب واليونان قد توافقت ، أو أن العربي نحا في أساليب قضاياه منحى المنطقي في أقيسته، لكن على نمط يشاكل مزاج العربي الذي يكتفي

(١) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ٢٨ .

(٢) مفتاح العلوم : ٤٣٢ / تحقيق : نعيم زرزور / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الثانية/ ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م ، وينظر : تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها: ٢٨.

بالإيجاز واللمحة الدالة، ويستغني بالإيماء والتلويح دون حاجة إلى الإظهار والتصريح؟"[١].

ولم يترك المراغي الإجابة للقارئ ، وإنما أجاب بنفسه بأن السكاكي إن كان قد أراد أن طرق التعبير لدى العرب واليونان قد توافقت ، فلا يستطيع أحد أن ينازعه في ذلك ؛ لأن العقول الإنسانية كثيرًا ما تتفق في مناحي التفكير ، والآراء قد تتلاقى في وسائل الإفهام ؛ لأن الإنسان هو الإنسان أنى كان ، وكيف وجد ، والفوارق التي تحصل في هذه الحالة ليست جوهرية ، وإن كان قد أراد أن العربي قد نحا منحى المنطقي في أقيسته ، ولكن على نمط يشاكل مزاج العرب الذي يكتفي بالإيجاز واللمحة الدالة ، ويستغني بالإيماء والتلويح عن الإظهار والتصريح ، فما دليله وبرهانه على ذلك ؟ وقد كان الأجدر به أن يرجع الاستدلال المنطقي إلى أسلوب كنائي أو تشبيهي أو استعاري ، لا العكس ؛ ليُعْلَم أن العربي لم يكن مقلدًا للمنطقي في إثبات قضاياه وأساليب حججه[٢].

ثم ذكر المراغي ما كان يجب على السكاكي أن يقوله من صواب الرأي في هذا المقام فقال : " ولقد كان من صواب الرأي أن يقول : إن كل أمة لها من وسائل الإقناع ما هو أنسب ببيئتها التي تعيش في أكنافها ، وفيها شَبَّ أهلها ودرجوا ، وبما تعودوه في مخاطباتهم على مَرّ الأجيال والأحقاب ، وحينئذ لا حاجة به إلى عقد هذه الصلة بين علوم الاستدلال وعلوم البيان ، ولا إلى توثيق الرابطة بين مصطلحاتهما ، فتلك في وادٍ ، وهذه في وادٍ "[٣].

ولقد فتح المراغي بابًا للباحثين ، وأشار إلى أن ما ذكره السكاكي هنا من وجود صلة بين علم الاستدلال وعلم البيان ، وتوثيق الصلة بين طرق التعبير لدى العرب واليونان سواء كان ذلك عن طريق توافق الخواطر ، أو انتحاء

(١) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ٣١ .
(٢) السابق نفسه .
(٣) السابق نفسه .

العربي في أساليب بيانه نحو المنطقي في أقيسته – يعد موضوعًا يحتاج إلى بحث مستقل يدلي فيه الباحثون بدلائهم ، وحينئذ نصل إلى الرأي الراجح ، والقول الفصل في هذا الأمر[١].

وبعد أن وقف المراغي مع السكاكي هذه الوقفة الناقدة نجد أنه لم يغمطه حقًّا ، وذكر فضائله إنصافًا منه له ، وإحقاقًا للحق ، فقال : " ومع كل هذا فقد كان في قلمه أثارة من الأسلوب الأدبي الذي درج عليه من سبقه من المؤلفين في علوم الفصاحة . فنحن – إن أخذنا عليه تلك النَّبْوة في الأسلوب، والشغف بالمصطلحات المنطقية والفلسفية – نغفر له تلك الهَنَاة كِفاء ما قام به من جليل العمل في تهذيب مصطلحات هذه الفنون ، والسير بها قُدُمًا نحو الكمال في استيفاء مباحثها ، وتخليص أقسامها بعضها من بعض ، حتى صارت متمايزة مختلفة المناحي والأغراض بحسب ما تراءى له ، وظنه مستقيمًا جهد الطاقة ... وفي الحق أن كتابه يُعَدّ خاتمة المؤلفات في هذه الفنون ، فبه تمت مباحثها ، وأصبح لكل علم منها كِيان مستقل ، ووحدة خاصة عُرِفَ بها الغرض لأجله يدرس ، وكل من جاء بعده من المؤلفين اتبع سبيله ، وسار سيرته ، ولم يأت بجديد ، بل فسّر مبهمًا ، أو فصّل مجملًا ، أو اختصر مطولًا "[٢].

وتناول المراغي ثلاثة من جِلّة العلماء الذين اشتغلوا بتلخيص كتاب السكاكي ، وتفسير مبهمه ، وهؤلاء هم بدر الدين بن مالك (ت ٦٨٦ هـ) ، والخطيب القزويني (ت ٧٣٩ هـ) ، وعضد الدين الإيجي (ت ٧٥٦ هـ) .

أما بدر الدين بن مالك فقد ذكر المراغي أنه اختصر " مفتاح العلوم " للسكاكي في كتاب سماه " المصباح في اختصار المفتاح "[٣]، وأشار إلى قيمة

---

(١) السابق : ٣٢ .

(٢) السابق : ٣٢ ، ٣٣ .

(٣) طُبِعَ هذا الكتاب تحت عنوان " المصباح في المعاني والبيان والبديع " / تحقيق : د / حسني عبد الجليل يوسف / مكتبة الآداب / القاهرة / بدون تاريخ .

هذا الكتاب التي قد تغيب عن كثير من أهل التخصص فقال : " واستمر رَدَحًا طويلًا من الزمن قبلة طلاب البلاغة في بلاد المغرب ... فكان مثله في تلك البلاد مثل تلخيص القزويني في البلاد الشرقية "[١].

وأما الخطيب القزويني فقد ذكر أنه اختصره في كتاب سماه " تلخيص المفتاح " طبقت شهرته الخافقين ، وعُنِيَ بشرحه الجم الغفير من العلماء، وكل من ألف بعد الخطيب في البلاغة فإما أن يكون شارحًا لهذا التلخيص، أو مختصرًا له ، أو ناظمًا له ، فأما الشرح والاختصار فقد أشار إليهما إشارة مقتضبة بقوله : " أما الشراح فلال يحصى لهم عَدٌّ كثرة ، وأما المختصرون فمنهم ابن جماعة اختصره في كتاب سماه " تلخيص التلخيص " ، وبرويز الرومي ، وزكريا الأنصاري "[٢].

وأما النظم فقد جاءت عبارة المراغي فيه مضطربة، حيث قال: "وأما ناظموه فمنهم خضر بن محمد مفتي أماسية ، نظمه وسمى نظمه " أُنْبُوب البلاغة "، وزين الدين أبو العز بن طاهر[٣]، وجلال الدين السيوطي، وسمى نظمه "مفتاح التلخيص"، وشرحه بشرح سماه " عقود الجمان " ، ونظمه عبد الرحمن الأخضري ، وسمى نظمه " الجوهر المكنون في الثلاثة الفنون "[٤].

وذلك لأن " مفتاح التلخيص " لزين الدين أبي العز طاهر ، وليس للسيوطي ، هذا بالإضافة إلى أن صواب اسم هذا الكتاب " التلخيص في نظم

---

(١) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ٣٣ .

(٢) السابق نفسه .

(٣) زين الدين أبو العز بن طاهر . هكذا ذكره المراغي على اعتبار أن " المؤلف " زين الدين أبو العز " ، و " طاهر " والده . ينظر : تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها: ٣٤ ، والصواب : زين الدين أبو العز طاهر ، وذلك على اعتبار أن اسم المؤلف " طاهر " ، و " أبو العز " كنيته، و " زين الدين " لقبه . ينظر : كشف الظنون : ١ / ٤٨٤ / حاجي خليفة / تحقيق : محمد عبد القادر عطا / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧م .

(٤) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ٣٤ .

التلخيص"، لا " مفتاح التلخيص "[١]، و " عقود الجمان " للسيوطي ليس شرحًا لـ " مفتاح التلخيص " ، وإنما هو نظم لـ " تلخيص المفتاح " للخطيب القزويني، وشَرْح السيوطي لنظمه يسمى " حَلّ عقود الجمان "[٢]، أو " شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان " كما هو مطبوع[٣].

وتجنبًا لهذا الخطأ ، وتحاشيًا لذلك الاضطراب ، كان على المراغي أن يقول : وأما ناظموه فمنهم خضر بن محمد مفتي أماسية ، نظمه وسمى نظمه " أُنْبُوب البلاغة " ، وزين الدين أبو العز طاهر ، وسمى نظمه " التلخيص في نظم التلخيص " ، وجلال الدين السيوطي ، وسمى نظمه " عقود الجمان " ، وشرحه بشرح سماه " حَلّ عقود الجمان " ، ونظمه عبد الرحمن الأخضري ، وسمى نظمه " الجوهر المكنون في الثلاثة الفنون " .

ثم أشار المراغي إشارة مهمة مفادها أن الخطيب القزويني ادعى من خلال عنوان كتابه " تلخيص المفتاح " أنه اقتصر فيه على تلخيص " مفتاح العلوم " للسكاكي وحده ، ولكن من يطالع هذا التلخيص يجد أنه ملخص من عدة كتب، حيث أخذ الخطيب كثيرًا – بالإضافة إلى ما أخذه من "مفتاح العلوم" وهو الشيء الأكثر – من كتابي "أسرار البلاغة" و "دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني ، وكتاب " سر الفصاحة " لابن سنان الخفاجي؛ إذ إن مقدمة " تلخيص المفتاح " لا تعدو أن تكون مقدمة " سر الفصاحة " مع تغيير

---

(١) كشف الظنون : ١ / ٤٨٤ .

(٢) السابق نفسه .

(٣) ينظر : شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان / السيوطي / مطبعة الحلبي / ١٣٥٨هـ – ١٩٣٩م ، وطُبِعَ محققًا تحت عنوان : شرح عقود الجمان في المعاني والبيان / السيوطي / تحقيق : د / إبراهيم محمد الحمداني ، د / أمين لقمان الحبّار / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ٢٠١١م .

طفيف، وقد كان من الأمانة العلمية ألا يغمطها الخطيب فضلها على كتابه[١].

كما أشار المراغي كذلك إلى الكتاب الثاني للخطيب القزويني الذي سماه " الإيضاح " وجعله كالشرح للتلخيص ، بأسلوب سهل ، وعبارة واضحة ، فيها روح عبد القاهر الجرجاني الجامع بين الرصانة والتحقيق العلمي ؛ ولذا فلا غرو أن يعد من الكتب التي ينبغي أن تكون مقصد طلاب البلاغة ، ينهلون من معينه العذب ، ويغترفون من بحاره السائغة المورد[٢].

وذكر المراغي أن الخطيب القزويني قد اعترض في كتابه " الإيضاح " على عبد القاهر الجرجاني في بعض المسائل ، ونقض فيه بعض النظريات التي أقرها كل من عبد القاهر والسكاكي ، ولكن ذلك لم يسلم للخطيب في أغلب وأكثر المسائل ، وجاء المؤلفون بعده وفندوا هذه الاعتراضات ، وأفردوا لذلك مؤلفات خاصة ، منها كتاب " حَلّ الاعتراضات التي أوردها الإيضاح على المفتاح " لأحمد الكاشاني[٣].

وأما عضد الدين الإيجي فقد ذكر المراغي أنه لخص " مفتاح العلوم " للسكاكي في كتاب سماه " الفوائد الغياثية " ، صنعه لغياث الدين محمد بن سلطان الوزراء، وهو أصغر من كتاب " تلخيص المفتاح " للخطيب القزويني، جارى فيه الإيجي مفتاح السكاكي في ترتيبه ، فلم يقدم في مباحثه ولم يؤخر، كما فعل الخطيب القزويني[٤].

وأما الطِّيبي فقد ذكر المراغي أنه ألف كتابًا بعنوان " لطائف البيان في علوم البيان " ، وشرحه ، وقد كان المراغي أمينًا في علمه ، حيث توقف في الحكم على نهج تأليفهما لعدم اطلاعه عليهما ، وذكر أن شرح الطيبي لكشاف

---

(١) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ٣٤ .

(٢) السابق نفسه .

(٣) السابق نفسه .

(٤) السابق ٣٤ ، ٣٥.

الزمخشري ، وما فيه من جودة تصنيف ، وحسن ترتيب وتبويب قد يدل على ما نهجه الطيبي في كتابه[١].

هذا ، ومن يطالع كتاب " كشف الظنون " لحاجي خليفة ، فسيجد أمامه سجلًا طويلًا للكتب التي دارت حول كتابي الخطيب القزويني : " تلخيص المفتاح" و "الإيضاح"[٢]، ولعل المراغي التفت إليه كثيرا فيما ذكره في كتابه .

رابعًا – الطور الرابع "عصر الشروح والحواشي":

لقد اتجهت عناية المؤلفين في هذا العصر إلى خدمة بعض المؤلفات البلاغية بدلًا من خدمة البلاغة نفسها ، حتى صارت عنايتهم بتقرير عبارات المتون أكثر من عنايتهم بتقرير مسائل العلم ، الأمر الذي يجعلنا نطلق على هذا الطور طور خدمة المؤلفات، يقول المراغي: " في هذا العصر اتجهت العناية إلى خدمة المؤلفات في هذا الفن عوضًا من خدمة الفن ، فبدأ سيل جارف من الشروح للمفتاح وتلخيصاته كالمصباح والتلخيص والفوائد الغياثية في القرون الثلاثة، وهي السابع والثامن والتاسع ، ثم الحواشي على هذه الشروح في القرون العاشر والحادي عشر والثاني عشر ، والتقريرات على الحواشي في الثاني عشر والثالث عشر "[٣].

ثم أخذ المراغي يسرد ويعدد طائفة من هذه الشروح وتلك الحواشي والتقريرات إيضاحًا لما ذكره وقرره ، وتدليلًا على صدق دعواه ، وذكر أن أجل شروح التلخيص هو شرح سعد الدين التفتازاني ، حيث أوضح مبهمه ، ودفع ما توجه إليه من نقد في تعريفاته ، أو في بعض القضايا العلمية ، لكن يؤخذ عليه أنه سلك في ذلك الشرح مسلك أهل الجدل ، لا مسلك أهل الأدب[٤].

---

(١) السابق ٣٥.

(٢) كشف الظنون : ١ / ٤٧٩ – ٤٨٤ .

(٣) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ٣٥ .

(٤) السابق : ٣٥ – ٣٨ .

وأشار المراغي بعد سرد هذه المؤلفات إلى نتيجة منطقية ، ورائعة جدًا ، وصائبة إلى حد كبير ، وهي أن أسلوب التأليف في تلك الحقبة ضعيف وركيك ، وفيه مخالفة للقواعد التصريفية أو النحوية في بعض الأحايين ، وذكر أن الذي أفسد أسلوب تلك الحقبة أمران :

الأول – هو خلطه بالمصطلحات المنطقية والفلسفية .

الثاني – هو قلة إلمام المؤلفين بفصيح الأساليب ؛ إذ إنهم من بيئة فارسية أو هندية أو تركية ، ثم هم لم يُمَرَّنوا على استعمال جيد التراكيب ، ولم يحذقوا نثيرها ونظيمها قراءة وفهمًا حتى يستطيعوا محاكاة ما قرأوا واستظهروا(١).

وأشار كذلك إلى نقطة مهمة في هذا الشأن ، وهي أن أساليب التأليف في فنون الفضاحة من الأفضل أن تكون غاية في الفصاحة ؛ لكي تكون تطبيقًا عمليًّا على المسائل المؤلفة فيها ، ولكن شاءت إرادة الله – ﷻ – أن جاءت مؤلفات هذه الحقبة في فنون البلاغة بعيدة عن أن تكون المثل الأعلى ، أو ما يقرب منه(٢).

وتابع المؤلف إيضاحه لضعف مؤلفات هذا الطور ، وأنها مازالت في الانحدار فقال : " وما زال التأليف ينحدر من المستوى الأدنى حتى وصل إلى حد الإلغاز ، وتبارى المؤلفون في الاختصار ، حتى احتيج إلى حواش تبين مغازي الشراح من عباراتهم ، وتشرح مقاصدهم وأغراضهم ، ولكن لم تكن الحواشي في عباراتها بأوضح بيانًا من الشراح ، وصدق عليها المثل " وفَسَّرَ الماء بعد الجهد بالماء " ، فأصبحت الحاجة ملحة إلى وضع تقريرات توضح ما انبهم من تلك الشروح والحواشي ، فوصلت الحال إلى ما يشبه التسلسل ، واستدعى الحال طول النظر فيها ، وإعادة البحث ، لكنه بحث عقيم ؛ إذ هو بحث في الصيغ والألفاظ ، لا في فقه العلم ، ودرك مسائله ، ومن ثم كانت

(١) السابق : ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) السابق : ٣٩ .

نتيجة مدارستها ضئيلة ، لا تستحق العناء والتعب الذي يحصل من مدارستها، وكلنا جد عليم بما يلاقيه الناظرون فيها من الكد والجهد الذي يولد السآمة والملل، وكثيرًا ما يؤدي ذلك إلى اليأس من متابعة الدرس ، وترك دور العلم، لا زهدًا في العلم ، ولا تمردًا عليه ، ولكن ذلك لصعوبة وسائله ، واعوجاج طرقه "[١].

واستطرد المراغي في حديثه عن بيان أسلوب مؤلفات تلك الحقبة ، وأثره السيّئ على طلاب البلاغة ، وبعده عن الغاية المرجوة ، والهدف المنشود ؛ لأن الأسلوب المنطقي الفلسفي يشحذ الفكر ، ويوسع مدارك العقل ، بينما الأسلوب الأدبي يرقق الشعور ، ويوسع الخيال ، وينمي العواطف والوجدان ، فالغايتان متباعدتان ، وهذا مُشَرِّق ، وذاك مُغَرِّب ، فقال ملخصًا ذلك : " وقصارى القول أن أساليب العلماء في هذه الفنون أثواب أسمال[٢]، ليس فيها رُواء ولا بهجة للناظرين ، لا تَقَرّ برؤيتها العيون ، ولا تستمتع بقراءتها العقول ... فالعجمة قد ملكت عليها أمرها ، ومصطلحات المنطق والفلسفة جلبت عليها بخيلها ورجلها ، فإذا أنت تاقت نفسك أن تقرأ منها كتابًا ، خُيِّلَ إليك أنك بين يدي أرسطو يجاذبك الحديث وتجاذبه ، ويشدك وأنت تدفعه في غير هوادة ولا رفق ، فما أجدرها أن تكون مؤلفات تعلم القدرة على الحوار والجدل ، وترشد إلى طريق التغلب على الخصم في المناظرة ... فلا عجب إذا رأينا أن الأساليب لم تَرْقَ بقراءة هذه المؤلفات ، بل اعتورها الضعف ، وزادت بها العلة، واستشرى الداء ، وعَزَّ الدواء ، ونَخَرَ السوس في عظامها ، وصارت هياكل نُزِعَ منها الدهن واللحم ، أو هي أشجار يبست أغصانها ، وذبلت أوراقها ، فقل غناؤها ، وأصبحت عديمة الجدوى"[٣].

---

(١) السابق : ٣٩ ، ٤٠ .

(٢) أثواب أسمال : أثواب خَلَقة بالية ، يقال : سَمَلَ الثوبُ يَسْمُل سُمولًا وأَسْمَلَ : أَخْلَق . لسان العرب / مادة : سمل .

(٣) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ٤٠ ، ٤١ .

ثم أخذ المراغي في نهاية حديثه عن مؤلفات هذا الطور يسأل نفسه سؤالًا مهمًا يبين مكمن الداء ، ثم يجيب بنفسه عن هذا السؤال موضحًا علة هذا الداء ، والنتيجة التي نتجت عنه ، وترتبت عليه فقال : " ونحن نسائل أنفسنا حينئذ ونقول : أهذا العقم الذي حدث ، وجعلنا لا نستفيد من دراستها شيئًا ، يرجع إلى أن الدراسة لا تجدي ، أو أن أسلوب المؤلفين هو الذي كان عاملًا له أثره في الوصول إلى هذه النتيجة ؟ وإنا لنجيبك عن هذا السؤال باختيار القسم الثاني ، فأساليب المؤلفين ، والتواء مناحي البحث فيها ، وكد الفكر في فهم مغازيها ومراميها ، جعل النتيجة وهمية لا حقيقية ، حتى ليصدق فيها المثل : " أسمع جَعْجَعة ولا أرى طِحْنًا"(١).

وأنا أوافق المراغي إلى حد كبير في هذه الإجابة ، وتلك النتيجة ؛ لأن مؤلفات تلك الحقبة قد أصابتها عاصفة هوجاء ، وهي تلك العجمة التي استشرت في مؤلفات ذلك العصر ، وامتدت إلى آدابه ، ومن يطالع هذه المؤلفات وتلك الآداب ، فسيجد صدق ذلك واضحًا جليًّا ، ولكن هذه العجمة لا تجعلنا نغمط هؤلاء حقهم فيما قدموه وبذلوه شرحًا وتلخيصًا وتحشية وتقريرًا خدمة لهذا الفن ؛ لأن خدمة العلوم بالتأليف فيها أمر متعدد الجوانب ، يقول حاجي خليفة : " إن التأليف على سبعة أقسام ، لا يؤلف عالم عاقل إلا فيها : وهي إما شيء لم يسبق إليه فيخترعه ، أو شيء ناقص يتممه ، أو شيء مغلق يشرحه ، أو شيء طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه ، أو شيء متفرق يجمعه ، أو شيء مختلط يرتبه ، أو شيء أخطأ فيه مصنفه فيصلحه"(٢).

(١) السابق : ٤١ .
(٢) كشف الظنون : ١ / ٥٧ .

خامسًا – الطور الخامس "التأليف في العصر الحاضر":

إذا كان المؤلف قد جعل عنوان هذا الطور "التأليف في العصر الحاضر" فإني أرى أنه كان من الأولى أن يكون عنوانه "عصر الإحياء والبعث"، وذلك إذا قورن على وجه الخصوص بالطور السابق الذي جعل المؤلف عنوانه "عصر الشروح والحواشي".

وقد ظهرت في هذا العصر محاولات جادة تعيد إلينا بصيصًا من النور، وتبعث فينا التفاؤل والأمل ، وذلك بالرجوع إلى كتب القدماء التي تمثل النضج والازدهار لهذا الفن ، وبعثها من مراقدها ، ونفض الغبار عنها للاستفادة من كنوزها وجواهرها ، والانتفاع بدررها ولآلئها ، والسير على منهاجها ، والنسج على منوالها بما يتفق مع روح العصر ، يقول المراغي : " نَدَع القول في الطور السالف على كُرْه منا ، وننتقل بك إلى عصر بدا فيه بصيص من الأمل في إحياء ما دَرَس من كتب الأقدمين في هذه الفتون ، واخضرت أزهار الآداب بعد ذبولها ، عصر حاول فيه العلماء جهد الطاقة القضاء على البحوث الفلسفية العقيمة التي أضاعت جهودًا كثيرة من طلاب العلم دون الحصول على جدوى ، وأنفق في فهمها كثير من الوقت كانوا في شديد الحاجة إليه ؛ لارتشاف كؤوس العلم من ينابيعها العذبة السائغة ، والشرب منها عَلَلًا بعد نَهَل"(١).

وأوضح المراغي الطريق الذي هُدِيَ إليه علماء ذلك العصر للنهوض بالبلاغة من كبوتها ، وإعادة النضج والازدهار إليها ، والأخذ بيدها إلى ما كانت عليه في سالف عهدها من نهوض ونمو وتطور فقال : " وقد هداهم البحث إلى أن خير الوسائل للوصول إلى بغيتهم أن يرجعوا إلى أمهات الكتب المدونة في هذه الفنون ، ويطرحوا مختصراتها وراءهم ظهريًّا ، ويأخذوا الثمر الجني من كتب المتقدمين الذين كتبوا فيها ككتاب " الصناعتين " لأبي هلال

(١) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ٤١ .

العسكري ، وكتاب " سر الفصاحة " لابن سنان الخفاجي ، وكتب الموازنات بين الشعراء كـ " الوساطة بين المتنبي وخصومه " للقاضي عبد العزيز الجرجاني ، وكتاب " الموازنة بين أبي تمام والبحتري " لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي ، وكتاب " العمدة " لابن رشيق القيرواني ، والكتب المؤلفة في إعجاز القرآن ككتاب " إعجاز القرآن " للباقلاني ، وغيره ، ثم يضعوا ذلك في قالب سهل التناول على طالبيه ، إلى بعض تطبيقات ونماذج تضاف إلى أبواب الكتاب"[(١)].

وبعد أن شَخَّصَ المراغي الداء ، وأخبر بما هُدِيَ إليه علماء العصر الحاضر من دواء ، رصد لنا ما ترتب على ذلك الدواء من نتيجة عظيمة ، وفوائد حسنة ، ونَفْع كثير من هذه الكتب فقال : " وقد عاد ذلك بالنفع العظيم على قارئيها ، وأمكنهم في قصير الزمن أن يُحَصِّلوا كثيرًا من الفوائد التي قلما كان يُحَصِّل معشارها دارسو الكتب التي وضعت في العصور الأخيرة ؛ إذ من الجليّ أن اللغة إنما تستفاد بالمحاكاة والقدرة مما تقرأ وتسمع ، وهذه الكتب نبراس للناظرين فيها لجميل أسلوبها ، وبديع ترتيبها"[(٢)].

وسَجَّلَ المراغي طريقتين لدراسة علوم البلاغة : طريقة استخدمها بعض الأساتذة والمؤدبين ، وطريقة اقترحها هو ، وذكر أنها خير من الطريقة الأولى.

يقول عن الطريقة الأولى التي جنح إليها بعض المعلمين والمؤدبين : " وقد انتحى بعض الأساتذة والمؤدبين في دراسة هذه العلوم طريقًا هو أشكل بالعلوم الرياضية منه بالفنون الأدبية ، فتراهم يشرحون مسألة ، ثم يأتون أَثَرها بقطعة من الشعر أو النثر يجعلونها نموذجًا لما درسوه ، ويطلبون من تلاميذهم الإجابة عنها وفق ما درسوا من القواعد"[(٣)].

---

(١) السابق : ٤٢ .

(٢) السابق نفسه .

(٣) السابق نفسه .

وقد رفض المراغي هذه الطريقة مبينًا سبب ذلك الرفض ، وهو " أن هذا النهج إن نفع في حل المعادلات الرياضية ، فلن يجدي في تربية الملكة الأدبية ، وتنمية الذوق البلاغي ، والوقوف على أسرار الفصاحة والبلاغة في الكلام "(١).

والمراغي هنا محق في رفض هذه الطريقة ، ومصيب إلى حد كبير ، وحجته في رفضه قوية ؛ لأن هذه الطريقة – بالإضافة إلى ما ذكره – تعمل على تحويل الدراسة البلاغية للنصوص الأدبية القائمة أساسًا على التذوق إلى ما يشبه دراسة الرياضيات أو المنطق ، وهذا يتنافى مع طبيعة اللغة ، ويبعد كثيرًا عن الروح الأدبية التي ينبغي أن تدرس بها .

وإذا كان بعض الناس قد يرفض الشيء موضحًا علة رفضه ، ويكتفي بذلك، فإن المراغي لم يكتف برفضه لهذه الطريقة ، وبيان سبب رفضها ، وإنما قدم لنا الحل ، واقترح طريقة أخرى يراها بديلًا أفضل وأحسن موضحًا علة ذلك بقوله : " وخير للطلاب ، وأجدر بهم أن تُوَجَّه أنظارهم إلى تَفَهُّم أسرار التراكيب للكتاب الكريم ، والسنة النبوية ، ومختار كلام العرب منثوره ومنظومه، ومدارسة الموسوعات الأدبية ، مع إرشادهم إلى أوجه الحسن التي اشتملت عليها ، والمزايا التي بها استحقت الفضل والرجحان على ما يماثلها في الغرض ، ويختلف عنها في الصفة ، فذلك أعود بالفائدة وأجمل في الوصول إلى الغرض"(٢).

وأنا أؤيد المراغي في اقتراح هذه الطريقة ، وأدعو إلى تطبيقها ، لأنها أجدى نفعًا ، وأكثر فائدة ، وأغزر عائدة ، وأليق بطبيعة نصوص اللغة العربية – ولا سيما نصوص الوحيين : القرآن الكريم ، والسنة النبوية – المنطوية على الأسرار البديعة ، واللطائف العجيبة ، والبدائع الغريبة ، والفوائد الجمة التي لا

(١) السابق : ٤٢ ، ٤٣ .
(٢) السابق : ٤٣ .

تكاد توجد في أي لغة أخرى غير العربية ، وحينما يتشبع الطالب ويضطلع بهذه النصوص، وتسري إلى روحه، وتمتزج أسرارها بمشاعره ، وتخالط قلبه ووجدانه، يكون من السهل عليه بعد ذلك استكناه هذه الأسرار ، وإدراك حقائقها، ومعرفة سبلها، بل يستطيع أن ينسج على منوال تلك النصوص أو يحاكيها، باستثناء القرآن الكريم الذي بلغ ببلاغته حد الإعجاز الذي قهر القوى والقدر، وقطع الطريق على كل من يحاول الإتيان بمثله ، أو بمثل سورة منه، وكذلك باستثناء الحديث الشريف الذي تربعت بلاغته على قمة البيان البشري، بحيث قد تشبهه بلاغة بعض المبدعين البلغاء ، ولكن لا تماثله.

تذييل " واضع علمي المعاني والبيان سيبويه":

لقد أتبع المراغي الحديث عن نشأة البلاغة وتطورها ، وأطوار التأليف فيها، بقضية جعل عنوانها " واضع علمي المعاني والبيان سيبويه " ، وهو يرى في ذلك أن سيبويه (ت ١٨٠ هـ) هو واضع علمي المعاني والبيان ، وعرض هذه القضية مدعومة بالأدلة والبراهين التي تؤيد دعواه ، ولكن يؤخذ على المراغي هنا طرح هذه القضية في هذا الموضع من كتابه ، وكان الأولى به أن يطرحها أثناء ذكره لسيبويه قبل ذلك في الطور الأول في الصفحة العاشرة، أو أن يطرحها بعد التعريف بسيبويه الذي جعله أول العلماء الذين عرف بهم على أنهم رجال البلاغة ، والذي تحدث عنه فيما يقرب من ست صفحات في هذا الكتاب ، وذلك من الصفحة الثامنة والخمسين إلى الصفحة الثالثة والستين، كما فعل بعد ذلك مع السكاكي حينما تناول بعد التعريف به قضية تقسيمه علوم البلاغة إلى ثلاثة أقسام ، وجعله تحسين البديع عرضيًّا لا ذاتيًّا[١].

وذكر المراغي هنا أن سيبويه إمام النحاة يعد واضع علمي المعاني والبيان، وأخذ يمهد لهذا الرأي الذي قد يظنه بعض الناس لأول وهلة غريبًا ، ولا سيما

---

(١) ينظر في التعريف بالسكاكي واعتراض المراغي على تقسيمه علوم البلاغة إلى ثلاثة أقسام ، وجعله تحسين البديع عرضيًّا لا ذاتيًّا : تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ١١٠ – ١٢٠ .

قبل أن يعرف أدلته على ذلك ، يقول : " قد تبدو هذه النظرية غريبة بادئ الرأي ، ويخيل إلى سامعها أنها بعيدة عن التمحيص العلمي ، إذ هي لا تعتصم بحجة وبرهان ، ولكنا سندلي إليك بساطع الحجة والبرهان ، ونؤيدها بسلطان بعد سلطان ، وحينئذ ترى أنا أحسنا إلى العلم وأهله ، وأظهرنا ما كان مكنونًا في الدفاتر ، وما كان لنا إلا صدق البحث والاستقراء في مؤلفات جِلّة العلماء الذين أفادوا العلم والأدب ، وأظهروا محاسن اللغة للناظرين فيها "(١).

وأشار المراغي إلى قضية ربما خفي على كثير من الناس وجه الصواب فيها؛ ولذا ينبغي أن يفهمها المتلقي فهمًا صحيحًا ؛ لأن فهمها على الوجه الصحيح يعد سبيلًا لقبول هذا الرأي ، وعدم استغرابه ، وتتلخص تلك القضية في بيان المقصود من النحو عند أئمة اللغة المتقدمين ، وماذا أراد به العلماء المتأخرون بعد ذلك(٢).

فذكر أن المقصود من النحو عند أئمة اللغة المتقدمين من أمثال سيبويه وأضرابه " السبيل الذي سلكته العرب في التعبير عن أغراضها ومقاصدها ، ويشمل ذلك شيئين: (١) تأليف الجمل، وبيان ما يجب أن تكون عليه الجملة وحدها، أو الجملة مع الجمل التي تؤدي الأغراض التي تختلج صدور المتكلمين. (٢) ضبط أواخر الكلمات التي تتألف منها تلك الجملة أو الجمل"(٣).

---

(١) السابق : ٤٣ .

(٢) السابق : ٤٣ ، ٤٤ .

(٣) السابق : ٤٤ ، ويؤيد ما ذكره المراغي هنا من أن وظيفة النحو تعنى بتأليف الجمل ، وبيان ما يجب أن تكون عليه الجملة وحدها ، أو الجملة مع الجمل التي تؤدى الأغراض بها ، كما تعنى بضبط أواخر الكلمات التي تتألف منها تلك الجملة أو الجمل ما ذكره الدكتور / محمد عبد المطلب تحت عنوان " فلسفة النحو " في كتابه البلاغة والأسلوبية : ٣٨ – ٤٣ / الشركة المصرية العالمية للنشر / القاهرة / الطبعة الأولى / ١٩٩٤م .

فأوضح أن وظيفة النحو عند هؤلاء الأئمة المتقدمين لم تقتصر على ضبط أواخر الكلم ، وإنما شملت ذلك بالإضافة إلى معرفة تأليف الكلام وفقًا للنهج الذي سنته العرب لكلامها ، وعلل المراغي اشتمال النحو عند سيبويه وأضرابه لهذين الأمرين بقوله : " ذاك أن لكل كلمة وحدها معنى خاصًا تكفلت اللغة بشرحه وبيانه ، وللكلمات وهي في التركيب معنى خاص ، هو صورة لما يقوم بأنفسنا من المعاني التي نريد إفهامها المخاطبين ، كذلك لكل لغة قوانين(١) خاصة في أساليبها تجري على سننه ، ولا تفهم العبارة حتى تجري على نهجه، وتكون وفقًا له ، وذلك القانون هو الذي كشفه العلماء في صدر الإسلام ، ودَوَّنوه ، وبسطوا أصوله وفروعه ، وسموه علم النحو"(٢).

وذكر المراغي أن تحليله لاسم هذا العلم (علم النحو) ليس حدثًا جديدًا ، وإنما نص عليه ، وأشار إليه الأئمة السابقون وأفاضوا في شرحه وتفسيره وبيانه ، كما ذكر أن معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته ، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها ، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير ، وتوخي الصواب في ذلك ، وإن خرج شيء عن هذا الوصف فإنه لا يخلو من أن يكون سائغًا بالاستعمال النادر ، والتأويل البعيد ، أو يكون مردودًا مرفوضًا لخروجه عن عادة القوم الجارية على فطرتهم ، والموافقة لنهجهم(٣).

---

(١) الصواب : قانون ؛ لعود الضمير عليه بعد ذلك بصيغة المفرد في كلٍّ من "سننه" و"نهجه" و "له" ، وذكره مشارًا إليه مفردًا في قوله : "وذلك القانون"، وإن أراد المؤلف "قوانين" – كما ذكرها بصيغة الجمع – فالصواب أن يعيد الضمير عليها بصيغة الجمع، فيقول: "كذلك لكل لغة قوانين خاصة في أساليبها تجري على سننها، ولا تفهم العبارة حتى تجري على نهجها ، وتكون وفقًا لها، وتلك القوانين هي التي كشفها العلماء في صدر الإسلام، ودَوَّنوها، وبسطوا أصولها وفروعها، وسموها علم النحو". السابق نفسه .

(٢) السابق نفسه .

(٣) السابق ٤٤ ، ٤٥ .

وأخذ المراغي ينقل عن أئمة اللغة وأعلامها ما يؤكد دعواه ويعضدها ، فنقل عن ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) قوله عن مفهوم النحو : " هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك ؛ ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة ، فينطق بها وإن لم يكن منهم ، أو إن شذ عنها بعضهم رُدَّ به إليها "(١).

كما نقل كذلك بعض النصوص عن عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)، ومن ذلك قوله عن مفهوم النظم : " واعلم أن النظم ليس إلا(٢) أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتحفظ الرسوم التي رُسِمَتْ لك ، فلا تُخِلّ بشيء منها ، فتنظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك : زيد منطلق ، وزيد ينطلق ، وينطلق زيد ، ومنطلق زيد ، وزيد المنطلق ، والمنطلق زيد ، وزيد هو المنطلق ، وزيد هو منطلق ... وفي الحال إلى الوجوه التي تراها في قولك : جاءني زيد مسرعًا ، وجاءني يسرع ، وجاءني وهو مسرع ، وجاءني وقد أسرع ، فيعرف لكلٍّ مواضعه ، ويجيء به حيث ينبغي(٣) له ... هذا هو السبيل ، فلست بواجد شيئاً يرجع صوابه إن كان صواباً ، وخطؤه إن كان خطأ إلى النظم ، ويدخل تحت هذا الاسم ، إلا وهو معنى من معاني النحو قد أُصِيبَ به موضعه ،

---

(١) السابق : ٤٥ ، وينظر : الخصائص : ١ / ٣٤ / تحقيق : محمد علي النجار / عالم الكتب / بيروت / بدون تاريخ .

(٢) " واعلم أن النظم ليس إلا " هكذا قال المراغي نقلًا عن عبد القاهر ، ونص كلام عبد القاهر هكذا " اعلم أن ليس النظم إلا " . ينظر : دلائل الإعجاز : ٨١ / عبد القاهر الجرجاني / تحقيق : محمود محمد شاكر / مطبعة المدني / القاهرة ، دار المدني / جدة / الطبعة الثالثة / ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م .

(٣) عند المراغي " حيث ينبني " . تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ٤٦ ، والصواب " حيث ينبغي " كما أثبتُّه . ينظر : دلائل الإعجاز : ٨٢ .

ووُضِعَ في حقه ، أو عُومِلَ بخلاف هذه المعاملة ، فأُزِيلَ عن موضعه ، واسْتُعْمِلَ في غير ما ينبغي له ، فلا ترى كلاماً قد وُصِفَ بصحة نظم أو فساده ، أو وُصِفَ بمزيّة وفَضْل فيه ، إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة ، وذلك الفساد ، وتلك المزية، وذلك الفضل، إلى معاني النحو وأحكامه "(١).

ثم قال المراغي معقبًا على ما نقله ، ومسجلًا وملخصًا للنتيجة التي استنتجها ، والتي تؤكد وتؤيد ما ذكره من أن وظيفة النحو ضبط أواخر الكلم ، وتأليف الجمل وفق سنن العرب في كلامها : " من هذا يستبين لنا أن النحو كما يتجه همه إلى ضبط أواخر الكلم ، يعنى أيضًا بتأليف الجمل ، وجعلها وفقًا للنهج الذي سنته العرب لكلامها "(٢).

هذا بالنسبة لمفهوم النحو ووظيفته عند المتقدمين ، أما بالنسبة لمفهومه ووظيفته عند المتأخرين ، فقد قصروا ذلك على معرفة أحوال أواخر الكلم إعرابًا وبناءً فقط ، وتلك نظرة ضيّقة ، وقاصرة للنحو على إحدى وظيفتيه ، يقول المراغي : " أما المتأخرون من النحويين فقد عرفوه بأنه : " علم يعرف به أحوال أواخر الكلم إعرابًا وبناءً "(٣)؛ فغاية النحو إذًا بيان الإعراب ، وتفصيل أحكامه ، وفي هذا التحديد تضييق لدائرة البحث النحوي ، وقصر له على بعض أغراضه "(٤).

---

(١) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ٤٦ ، وينظر : دلائل الإعجاز: ٨١ – ٨٣ .

(٢) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ٤٧ .

(٣) ينظر في تعريف النحو : معجم التعريفات : ٢٠٢ / الشريف الجرجاني / تحقيق : محمد صِدّيق المِنْشاوي / دار الفضيلة / القاهرة / بدون تاريخ ، شرح كتاب الحدود في النحو : ٥٢ ، ٥٢ / الفاكهي / تحقيق : د / المتولي رمضان أحمد الدميري / دار التضامن / القاهرة / ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م ، حاشية الصبان على شرح الأشموني : ١ / ٢٣ / محمد علي الصبان / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م .

(٤) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ٤٧ .

وبناء على هذا فقد رأى المراغي أن المتأخرين من النحاة قد أساءوا إلى النحو من عدة جهات ، وهي كالآتي :

١- أن بحوث النحو صارت بحوثًا لفظية توضح الأحوال المختلفة للفظ من رفع ونصب وجر ، دون النظر إلى ما يتبع ذلك ويترتب عليه من آثار المعاني التي قُصِدَ التعبير عنها .

٢- بُعْد أسرار التراكيب عن النحاة ، وخفاء دقائق تصوير الكلام عنهم ، وغموض دلالات التراكيب عليهم ، ، فلا يستطيعون كشف قناعها ، ولا النظر إلى جمالها ؛ لأنها قد غُطِّيَتْ عنهم بغطاء كثيف حجب ما وراءه من المحاسن والجماليات الخلابة .

٣- أنهم بذلك قد أخذوا القشور ، وتشبثوا بالعرض ، وتركوا اللب والجوهر ، ولو أخذوا بالعكس ، فأخذوا أحاسن البحوث وأجملها ، لكان فيما أخذوا سلوة عما تركوا[١].

ثم أرجع المراغي اقتصار اهتمام النحاة المتأخرين على ضبط أواخر الكلم ، وتركهم الأهم وراءهم ظهريًّا وهو تأليف الجمل ، إلى أمرين هما :

١- أن أسرار التراكيب كانت معروفة لهم بالسليقة ، فلا يحتاجون إلى تعرفها ، وأنه لم يكن قد طرأ على تلك الأسرار ما يشوهها .

٢- أن النحاة المتأخرين قد رأوا العرب في صدر الإسلام يُعْنَون أيما عناية، ويهتمون أيما اهتمام بالإعراب وتجنب اللحن ، فعَدّوا الإعراب عنوانًا للأدب والثقافة العالية والتهذيب الكامل ، وعَدّوا اللحن هُجْنة على الشريف ، وسقوطًا لمنزلته من أعينهم[٢].

وبعد أن ذكر المراغي مفهوم النحو عند بعض المتقدمين كأبي سعيد السِّيرافي وابن جني وعبد القاهر الجرجاني ، ومفهومه عند التأخرين ، فقد عاد

(١) السابق : ٤٧ ، ٤٨ .

(٢) السابق : ٤٨ .

مرة أخرى إلى مفهومه عند المتقدمين ، وذكر أنهم قصدوا به مثل ما قصد أبو عبيدة معمر بن المثنى بالمجاز عندما سمّى كتابه " مجاز القرآن " ، فقال : " والنحو بالمعنى الذي عناه المتقدمون هو الذي عنى مثله أبو عبيدة معمر بن المثنى بالمجاز عندما سمّى كتابه " المجاز في القرآن "[١]، وهو طريق العرب في التعبير عن مقاصدهم وأغراضهم ، وبيان ما قد يطرأ على الجملة العربية من تقديم أو تأخير أو حذف إلى نحو أولئك ، وهو ما سماه الثعالبي آخر كتابه " فقه اللغة " سر العربية "[٢].

ونقل المراغي عن أبي عبيدة مجموعة من النصوص ؛ ليؤكد بها كلامه ، وهو أنه لم يقصد بالمجاز المعنى الاصطلاحي الذي هو ضد الحقيقة ، أي استعمال اللفظ في غير ما وُضِعَ له في اصطلاح به التخاطب لعلاقة وقرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي ، وإنما قصد به الطرق التي يسلكها القرآن في تعبيراته ، والتي كان يستخدمها العرب في التعبير عن أغراضهم ومقاصدهم ، كما نقل عن سيبويه أيضًا مجموعة من النصوص ، نقلها عنه أو بلورها عبد القاهر الجرجاني ؛ ليؤكد أن النحو عند القدماء كسيبويه وأضرابه لم تقتصر وظيفته على ضبط أواخر الكلم فقط ، وإنما امتدت ليتجه همه إلى ضبط أواخر الكلم ، وتأليف الجمل وفقًا للنهج الذي سنته العرب لكلامها[٣]، ثم قال المراغي معقبًا على هذه النقول وتلك النصوص: " هذا قُلٌّ من كُثْر ، ولُمْعة يسيرة مما ذكره صاحب " الكتاب " في بيان أسرار النظم ، ولولا خوف الإطالة لنقلت لك كثيرًا من تلك الدرر الغوالي التي نثرها في كتابه "[٤].

---

(١) " المجاز في القرآن " هكذا ذكره المراغي هنا ، وذكره قبل ذلك في الصفحة العاشرة من هذا الكتاب بلفظ " مجاز القرآن " ، وهو العنوان الذي طُبِعَ به بتحقيق : د / محمد فؤاد سزكين / مكتبة الخانجي / القاهرة / بدون تاريخ . وربما يكون المراغي رآه بهذا العنوان الذي ذكره هنا ، أو نقل ذلك عن بعض المؤلفات التي ترجمت لأبي عبيدة ، ولكني لم أعثر على شيء من ذلك .

(٢) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ٤٩ .

(٣) السابق : ٤٩ – ٥٦ .

(٤) السابق : ٥٦ .

ثم أشار المراغي إشارة مهمة تدل على أنه فهم كثيرًا من أسرار التراكيب التي تناولها سيبويه في كتابه ، كما فهم أثر سيبويه الكبير الواضح في عبد القاهر في كثير من مباحثه ، خَلَص إلى نتيجة مهمة ، مفادها أنه لم يفهم كتاب سيبويه أحد ممن جاء بعده مثل ما فهمه عبد القاهر ، يقول : " وفي الحق أنه لم يفهم " الكتاب " حق الفهم أحد ممن جاء بعده ، ولم يتدبره حق التدبر ، ولم يستنبط منه العلم الغزير إلا عبد القاهر ، فقد فَرَّعَ منه أمهات المسائل المبثوثة في " الدلائل " و " الأسرار " وغيرهما من كتبه العظيمة الفوائد التي اعتبرها العلماء إمامًا يقتدون به في وضع هذه المباحث ، وطريق شرحها وبيانها ، وأخذوا الأمثلة والشواهد التي ذكرها في كتبه ، ولم يحيدوا عنها ، حتى قيل – وبحق ما قيل – : إن من جاء بعده عيال عليه ، اغترفوا من بحره ، ونهلوا من معينه "(١).

وممن يؤيد ما ذكره المراغي من أن سيبويه وأضرابه لم يقفوا بالنحو عند وظيفة ضبط أواخر الكلم ، وأن سيبويه كان النواة الأولى في تأسيس علم البلاغة الدكتور / عبد القادر حسين ، حيث يقول : " وإنما يحق لنا أن نقول دون ادعاء أو مبالغة : إن سيبويه كان حجر الأساس في بناء البلاغة العربية ... فإن سيبويه لم يفرق بين النحو والبلاغة ، ولم يكن النحو عنده مجرد النظر في أواخر الكلمات من حيث الإعراب والبناء ، وما فيهما من حركات وسكنات ، وإنما النحو عنده يشمل هذا كله ، ويشمل أيضًا تأليف الجملة ونظمها، وسر تركيبها، وبيان ما فيها من حسن أو قبح ، ولا شك أن هذا لا يشمل علم النحو فحسب، وإنما يشمل أيضًا البلاغة كما نعرفها اليوم "(٢).

وممن رأى هذا الرأي أيضًا د / عبد الفتاح لاشين ، حيث يرى – ولعله التفت إلى المراغي في ذلك – أن علماء النحو كسيبويه وأضرابه كانوا يقصدون بالنحو " السبيل الذي سلكته العرب في التعبير عن أغراضها ومقاصدها ،

---

(١) السابق : ٥٧ .

(٢) أثر النحاة في البحث البلاغي : ١٣٠ ، ١٣١ / دار غريب / القاهرة / ١٩٩٨م ، وينظر : المختصر في تاريخ البلاغة : ٥٦ – ٥٨ / د / عبد القادر حسين / دار غريب / القاهرة / ٢٠٠١م .

ويشمل ذلك أمرين : ١- تأليف الجمل ، وبيان ما يجب أن تكون عليه الجملة بمفردها ، أو الجملة مع غيرها حين تنقل الأغراض والمعاني من صدور المتكلمين إلى نفوس السامعين . ٢- ضبط أواخر الكلمات التي تتألف منها الجملة أو الجمل ، تبعًا لقوانين الإعراب التي كشفها العلماء في علم النحو في ذلك الحين "[١].

تنبيه: تجدر الإشارة هنا إلى أن ما خَلَصَ إليه المراغي من أن سيبويه أول من ألف في البلاغة ، وأنه واضع علمي المعاني والبيان يعد ذلك آخر ما توصل إليه في البحث البلاغي ، حيث إنه قد ذكر في كتابه " علوم البلاغة " تحت عنوان " أول من دَوَّنها " أن أبا عبيدة أول من كتب في علم البيان ، وأنه لا يعرف على وجه التحديد أول من ألف في علم المعاني ، وإنما أثرت فيه نُبَذ عن الجاحظ ، يقول : " لا نعلم أحدًا سبق أبا عبيدة مَعْمَر بن المثنى الراوية تلميذ الخليل بن أحمد المتوفى سنة (٢١١ هـ)[٢]، فقد وضع كتابًا في علم البيان سماه " مجاز القرآن " ... كما لا نعرف بالضبط أول من ألف في علم المعاني ، وإنما أثر فيه نُبَذ عن بعض البلغاء كأبي عثمان عمرو بن

---

(١) التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر : ١٥ / د / عبد الفتاح لاشين / دار المريخ / الرياض / المملكة العربية السعودية / بدون تاريخ .

(٢) لقد ذكر المراغي هنا أن أبا عبيدة متوفى سنة (٢١١ هـ) ، وذكر في كتابه " تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها " : ٦٣ / أنه متوفى سنة (٢٠٨ هـ) ، ولعل ذلك يرجع لاختلاف العلماء في سنة وفاته ، ولكن كان الأولى بالمراغي أن يلتزم بتاريخ واحد حتى لا يحدث خلط على من يقرأ كتابيه ؛ لأن القارئ قد يظن بهذا أنه يتحدث عن شخصين ، في حين أنهما شخص واحد . ينظر في تاريخ وفاة أبي عبيدة : البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة : ٢٩٥ / الفيروزآبادي / دار سعد الدين / دمشق / سوريا / الطبعة الأولى / ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م . حيث ذكر الفيروزآبادي أنه توفي سنة (٢٠٨ هـ) ، بغية الوعاة : ٢ / ٢٩٦/ السيوطي/ تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم/ المكتبة العصرية/ صيدا / بيروت/ بدون تاريخ . .حيث ذكر السيوطي أنه توفي سنة تسع ، وقيل: ثمان ، وقيل: عشر، وقيل: إحدى عشرة - ومائتين ، مجاز القرآن: ١ / ٩ / حيث ذكر محقق الكتاب د/ محمد فؤاد سزكين في مقدمة تحقيقه له أنه توفي فيما بين سنتي (٢٠٩ هـ) و (٢١٣ هـ).

بحر الجاحظ "[١]، ولا يخفى أن كتاب " تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها" – كما هو معلوم من تاريخ تأليفه – آخر ما ألف المراغي في علم البلاغة، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك تحت عنوان " تاريخ تأليفه"[٢].

وبعد أن سجل المراغي رأيه الذي يرى فيه أن سيبويه واضع علمي المعاني والبيان مؤيدًا كلامه بالأدلة والشواهد والبراهين ، أخذ يسأل سؤالًا قد يدور بذهن القارئ ، ويجول بخلده ، تولى هو بنفسه الإجابة عنه ، وهو أنه إذا كان النحو عند سيبويه بهذا المفهوم ، فلماذا لم ينسب المراغي وضع علمي المعاني والبيان إلى من سبق سيبويه من النحاة ؟ يقول : " فإن قلت : إذا كان أمر النحو كما ذكرت ، فلم لم تقل : إن واضع علمي المعاني والبيان أبو الأسود الدؤلي ، أو يحيى بن يَعْمُر ، أو عنبسة الفيل ، أو عيسى بن عمر الثقفي ؟ أجبناك بأنه لم يصل إلينا شيء من تأليف هؤلاء الأئمة ، ولم نعلم النهج الذي اتبعوه ، ولا الطريق الذي سلكوه ؛ حتى نحكم عن علم ، فقد يكون في مؤلفاتهم إشارة إلى مثل هذه المباحث ، فننسب الفضل إلى من ابتكر ، ونشيد بمن بدأ وشَيَّدَ وزخرف ونَجِدَ، لكنه لم يصل إلينا شيء من ذلك، ولو كان قد وصل إلينا لوصل إلينا خير كثير ، فوجب نسبة الفضل إلى فاعله"[٣].

---

(١) علوم البلاغة : ٦ ، ٧ .

(٢) البحث صـ ٨٧٧٣ .

(٣) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ٥٧ .

المبحث الثاني

التعريف بعلماء البلاغة

لقد شغل هذا المبحث عند المؤلف أكثر من ثلاثة أرباع الكتاب ، حيث جاء المبحث الأول في تسع وأربعين صفحة ، وذلك من صفحة تسع إلى صفحة سبع وخمسين ، وجاء هذا المبحث في ثلاث وستين ومائة صفحة ، وذلك من صفحة ثمان وخمسين إلى صفحة عشرين ومائتين .

وقد عَرَّفَ المراغي في هذا المبحث بخمسة وتسعين عالمًا ممن كانت لهم جهود بلاغية ، وقد اتبع المؤلف في ترتيب هؤلاء العلماء الترتيب الزمني ، أي بحسب سنة الوفاة لكل واحد منهم ، ولكنه لم يتبع في التعريف بهم منهجًا واحدًا من حيث الإيجاز والإطناب ، فتارة نجده يطنب في التعريف لدى من يترجم له ، وتارة ثانية نجده يوجز ، ولذلك فقد تراءى لي أن أقسم هؤلاء العلماء الذين ترجم لهم إلى قسمين : قسم عَرَّفَ بهم بإطناب ، وقسم عَرَّفَ بهم بإيجاز ، وجاء ذلك على النحو التالي :

القسم الأول : علماء عَرَّفَ بهم بإطناب :

قد يطنب المؤلف في التعريف ببعض العلماء ، فلا يكتفي بذكر الأشياء الأساسية المطلوبة في الترجمة كاسم العالم ونسبه ، ونشأته ، وأعماله ووظائفه، ومنزلته وفضائله، ومؤلفاته، ووفاته، وإنما يستطرد بالحديث إلى أشياء أخرى جانبية، وذلك كالحديث عن أدب العالم ، أو رحلاته، أو عقيدته، أو مذهبه، أو مناظرة حدثت بينه وبين غيره، أو آراء العلماء في بعض مؤلفاته، ويندرج تحت هذا القسم ممن ترجم لهم اثنان وعشرون عالمًا، وهم:

١- أبو بشر عمرو سيبويه (ت ١٨٠ هـ) .
٢- أبو عبيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى (ت ٢٠٨ هـ) .
٣- أبو عثمان الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) .
٤- محمد بن يزيد المُبَرِّد (ت ٢٨٥ هـ) .
٥- عبد الله بن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) .

٦- أبو سعيد السِّيرافي (ت ٣٦٨ هـ) .
٧- الحسن بن بشر الآمدي (ت ٣٧١ هـ) .
٨- أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت ٣٩٢ هـ) [١].
٩- محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) .
١٠- أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي(ت ٦٠٦ هـ).
١١- أبو يعقوب السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) .
١٢- أبو الفتح نصر الله ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) .
١٣- صفي الدين الحلي (ت ٧٥٠ هـ) .
١٤- عضد الدين الإيجي (ت ٧٥٦هـ) .
١٥- سعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٢ هـ) .
١٦- السيد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) .
١٧- أبو الليث السمرقندي (ت ٨٥٠ هـ) .
١٨- عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) .
١٩- أحمد الخفاجي (ت ١٠٦٩ هـ) .
٢٠- أبو العرفان الصبان (ت ١٢٠٦ هـ) .
٢١- حسن العَطّار (ت ١٢٥٠ هـ) .
٢٢- حفني ناصف (ت ١٣٣٧ هـ) .

القسم الثاني : علماء عَرَّفَ بهم بإيجاز :

يتضمن هذا القسم النصيب الأكبر من العلماء الذين ترجم لهم المراغي، حيث اشتمل على ثلاثة وسبعين عالمًا ، والإيجاز الذي سلكه في التعريف بهؤلاء العلماء ليس بدرجة ، فقد يستغرق في ترجمة الواحد منهم بضعة أسطر، أو نصف صفحة ، وأحيانًا يترجم له في صفحة ، أو صفحة وبعض أخرى، وأحيانًا يكون إيجازه أقرب إلى الإطناب ، فيستغرق في ترجمة من

(١) لقد ذكر المراغي أنه متوفى سنة (٣٦٦ هـ) ، والصواب ما أثبته . ينظر : السابق : ٨١ ، ٨٣ .

يترجم له صفحتين أو صفحتين وبعض الثالثة ، وغالبًا تتناول الترجمة في هذا القسم اسم العالم ونسبه ، ونشأته ، وأعماله ووظائفه ، ومنزلته وفضائله ، ومؤلفاته، ووفاته، وأحيانًا قليلة يتطرق بإيجاز للحديث عن طريقته في العبادة، وطرق كسبه، وبعض صفاته الخَلْقيّة والخُلُقيّة ، وهؤلاء العلماء الذين يندرجون تحت هذا القسم هم:

١- قدامة بن جعفر الكاتب (ت ٣٣٧ هـ) .

٢- محمد بن عمران المَرْزُباني (ت ٣٧٨ هـ) [١].

٣- أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت ٣٩٥ هـ) .

٤- أبو منصور الثَّعالبي (ت ٤٢٩ هـ) .

٥- ابن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣ هـ) .

٦- ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ) .

٧- عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) .

٨- مجد الدين بن منقذ الشَّيْزَري (ت ٥٨٤ هـ) .

٩- عبد اللطيف البغدادي (ت ٦٢٩ هـ) .

١٠- عبد الواحد بن عبد الكريم الزَّمْلَكاني[٢] (ت ٦٥١ هـ).

---

(١) ذكر ابن خلكان أن المرزباني توفي سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ، وقيل : ثمان وسبعين وثلاثمائة ، والأول أصح . وفيات الأعيان : ٤ / ٣٥٥ / تحقيق : د / إحسان عباس / دار صادر / بيروت / ١٩٠٠م . وكان على المراغي أن يختار الرأي الأول الأصح القائل بأنه توفي سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ، ولكن ربما لم يعثر عليه .

(٢) بفتح الزاي واللام والكاف بينهما الميم الساكنة وفي آخرها النون نسبة إلى زَمْلَكان ، وهي قرية بغوطة دمشق . الأنساب : ٣ / ١٥٤ ، ١٥٥ / السمعاني / تحقيق : عبد الله عمر البارودي / دار الجنان / عمان / الأردن / بدون تاريخ ، معجم البلدان : ٣ / ١٥٠ / ياقوت الحموي / دار الفكر / بيروت / بدون تاريخ ، التبيان في علم البيان : ١٠ / ابن الزَّمْلَكاني / تحقيق : د / أحمد مطلوب ، د / خديجة الحديثة / مطبعة العاني / بغداد / الطبعة الأولى / ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤م ، وعند المراغي بكسر الزاي . تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ١٢٥ ، والصواب ما أثبته .

١١- عبد الوهّاب الزنجابي (ت ٦٥٤ هـ) .
١٢- ابن أبي الأصبع (ت ٦٥٤ هـ) .
١٣- عز الدين بن أبي الحديد (ت ٦٥٥ هـ) .
١٤- أبو الحسن حازم الأنصاري القرطبي[١] (ت ٦٨٤ هـ) .
١٥- بدر الدين بن مالك (ت ٦٨٦ هـ) .
١٦- قطب الدين الشِّيْرازي (ت ٧١٠ هـ) .
١٧- محمد بن النحوية (ت ٧١٨ هـ) .
١٨- محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني (ت ٧٣٩ هـ) .
١٩- شرف الدين الطِّيْبي (ت ٧٤٣ هـ) .
٢٠- محمد بن المظفر الخطيبي الخلخالي (ت ٧٤٥ هـ) .
٢١- يحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٤٩ هـ) .
٢٢- بهاء الدين السُّبْكي (ت ٧٧٣ هـ) .
٢٣- محمد بن يوسف ناظر الجيش (ت ٧٧٨ هـ) .
٢٤- ابن جابر الأندلسي (ت ٧٨٠ هـ) .
٢٥- محمد البابِرْتي (ت ٧٨٦ هـ) .
٢٦- محمد بن يوسف الكِرْماني (ت ٧٨٦ هـ) .
٢٧- شمس الدين القَوْنوي (ت ٧٨٨ هـ) .
٢٨- الموصلي (ت ٧٨٩ هـ) .
٢٩- جلال الدين التِّيزِيتي (ت ٧٩٣ هـ) .
٣٠- جمال الدين الأقصرائي (ت ٨٠٠ هـ) .
٣١- السيد عبد الله (ت ٨٠٠ هـ تقريبًا) .
٣٢- محمد بن خضر العيزري (ت ٨٠٨ هـ) .

(١) كان الأولى بالمؤلف أن ينسبه إلى " قَرْطاجة " ، فيقول : " القَرْطاجَنّي " كما هو مشهور .

٣٣- عز الدين بن جماعة (ت ٨١٩ هـ) .
٣٤- حيدرة الشيرازي (ت ٨٢٠ هـ تقريبًا) .
٣٥- محمد بن حمزة الفَناري (ت ٨٣٤ هـ) .
٣٦- تقي الدين بن حجة الحموي (ت ٨٣٧ هـ) .
٣٧- ابن المقرئ (ت ٨٣٧ هـ) .
٣٨- محمد بن السيد الشريف (ت ٨٣٨ هـ) .
٣٩- محمد الطائي البِساطي (ت ٨٤٢ هـ) .
٤٠- علاء الدين البسطامي (ت ٨٧١ هـ) .
٤١- المَوْلى خُسْرَو (ت ٨٥٥ هـ) .
٤٢- حسن جلبي (ت ٨٨٦ هـ) .
٤٣- المَوْلى اللطفي (ت ٩٠٠ هـ) .
٤٤- حميد الدين (ت ٩٠٨ هـ) .
٤٥- أسعد الناجي (ت ٩٢٢ هـ) .
٤٦- عائشة الباعونية (ت ٩٢٢ هـ) .
٤٧- زكريا الأنصاري (ت ٩٢٦ هـ) .
٤٨- ابن كمال باشا (ت ٩٤٠ هـ) .
٤٩- عصام الدين بن عرب شاه (ت ٩٥١ هـ) .
٥٠- عبد الرحمن الأخضري (ت أواخر القرن العاشر الهجري) .
٥١- محيي الدين جلبي (ت ٩٥٤ هـ) .
٥٢- عبد الرحيم العباسي (ت ٩٦٣ هـ) .
٥٣- طاش كبرى زاده (ت ٩٦٨ هـ) .
٥٤- ابن قاسم العبّادي (ت ٩٩٢ هـ) .
٥٥- يس العليمي الحمصي (ت ١٠٦١ هـ) .
٥٦- عبد الحكيم السِّيالكوتي (ت ١٠٦٧ هـ) .
٥٧- البُسْنوي (ت ١٠٧٠ هـ) .

٥٨- ابن يعقوب المغربي (ت ١١١٠ هـ) .
٥٩- عبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣ هـ) .
٦٠- محمد الحَفَني (ت ١١٨١ هـ) .
٦١- أحمد بن عبد الفتاح الملوي (ت ١١٨١ هـ) .
٦٢- أحمد الدمنهوري (ت ١١٩٢ هـ) .
٦٣- أحمد السباعي (ت ١١٩٧ هـ) .
٦٤- أحمد الدردير (ت ١٢٠١ هـ) .
٦٥- مصطفى البناني (ت ١٢٢٠ هـ) .
٦٦- محمد بن عرفة الدسوقي (ت ١٢٣٠ هـ) .
٦٧- محمد الأمير (ت ١٢٣٢ هـ) .
٦٨- إبراهيم الباجوري (ت ١٢٧٦ هـ) .
٦٩- محمد الخضري (ت ١٢٨٨ هـ) .
٧٠- محمد البسيوني البَيْباني (ت ١٣١٠ هـ) .
٧١- محمد الأَنْبابي (ت ١٣١٢ هـ)[١].
٧٢- أحمد الحَمَلاوي (ت ١٣٥١ هـ) .
٧٣- أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١ هـ) .

علماء بلاغة لم يعرّف بهم المؤلف :

من ينظر في سجل علماء البلاغة العربية يجد أن المراغي – رغم أنه قد بذل جهدًا كبيرً ، وأجهد نفسه كثيرًا ، ووضع أيدينا على ترجمة خمسة وتسعين عالمًا من علماء البلاغة – قد فاته كثير من علماء البلاغة الذين هم ليسوا بأقل حظًّا ممن ذكرهم ، بل قد يكون فيمن ذكرهم من هو أقل جهدًا وحظًّا ممن لم يترجم لهم ، ولقد استدركت عليه ستة وعشرين عالمًا من علماء

(١) لقد ذكره المراغي قبل محمد البسيوني البيباني ، والصواب أن يذكر بعده كما ذكرته بناء على تاريخ الوفاة الذي رتب المراغي العلماء الذين ترجم لهم عليه . ينظر : تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ٢١٠ ، ٢١١ .

البلاغة لهم أياد بيضاء ، وإسهامات مضيئة ، وجهود قيمة في خدمة البلاغة العربية ، وهم حسب الترتيب الزمني كالآتي :

١- ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) ، له " تأويل مشكل القرآن " .

٢- ابن أبي عون (ت ٣٢٢ هـ) ، له " التشبيهات " .

٣- أبو الحسن الرماني (ت ٣٨٤ هـ) ، له " النكت في إعجاز القرآن " .

٤- أبو سليمان الخطّابي (ت ٣٨٨ هـ) ، له " بيان إعجاز القرآن " .

٥- أبو بكر الباقلّاني (ت ٤٠٣ هـ) ، له " إعجاز القرآن " .

٦- الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ) ، له " تلخيص البيان في مجازات القرآن " و " المجازات النبوية " .

٧- ابن ناقيا البغدادي (ت ٤٨٥ هـ) ، له " الجُمان في تشبيهات القرآن " .

٨- علي بن ظافر الأزدي (ت ٦٢٣ هـ) ، له " غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات " .

٩- عز الدين بن عبد السلام (ت ٦٦٠ هـ) ، له " الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز " .

١٠- أبو محمد السجلماني (ت ٧٠٤ هـ) ، له " المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع " .

١١- شهاب الدين محمود الحلبي (ت ٧٢٥ هـ) ، له " حسن التوسل إلى صناعة الترسل " .

١٢- محمد بن علي الجرجاني (ت ٧٢٩ هـ) ، له " الإشارات والتنبيهات في علوم البلاغة " .

١٣- نجم الدين أحمد بن الأثير الحلبي (ت ٧٣٧ هـ) ، له " جوهر الكنز ".

١٤- محمد بن عمر التَّنُوخي (ت ٧٤٨ هـ) ، له " الأقصى القريب في علم البيان " .

١٥- ابن قيّم الجوزيّة (ت ٧٥١ هـ) ، له " الفوائد المُشَوِّق إلى علوم القرآن وعلم البيان " .

١٦- أبو جعفر أحمد الرعيني الغرناطي (ت ٧٧٩ هـ) ، له " طراز الحلة وشفاء الغلة " .

١٧- ابن الشِّحْنة الحنفي (ت ٨١٥ هـ)، له منظومه " مائة المعاني والبيان".

١٨- شمس الدين النواجي (ت ٨٥٩ هـ) ، له " الشفاء في بديع الاكتفاء " .

١٩- عبد الرحمن المرشدي (ت ١٠٣٧ هـ) ، له " شرح المرشدي على عقود الجمان في علم المعاني والبيان " .

٢٠- الحسن بن عثمان المفتي (ت ١٠٥٩ هـ) ، له " خلاصة المعاني " .

٢١- ابن معصوم المدني (ت ١١٢٠ هـ) ، له " أنوار الربيع في أنواع البديع".

٢٢- أحمد مصطفى الطرودي (ت ١١٦٧ هـ " ، له " جامع العبارات في تحقيق الاستعارات " .

٢٣- أحمد الصاوي (ت ١٢٤١ هـ) ، له " حاشية على شرح " تحفة الإخوان في علم البيان " لأحمد الدردير .

٢٤- حسين المرصفي (ت ١٣٠٧ هـ) ، له " الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية " .

٢٥- عبد الرحمن الشربيني (ت ١٣٢٦ هـ) ، له (فيض الفتاح على حواشي شرح تلخيص المفتاح " .

٢٦- علي صقر (ت بعد ١٣٢٧ هـ) ، له " شرك الآمل لصيد شوارد المسائل في المعاني والبيان والبديع " .

منهج المراغي في تعريفه بعلماء البلاغة :

من ينظر في تعريفات المراغي بالعلماء الذين ترجم لهم يجد أنها لا تجري على نسق معيّن ، ولا تلتزم بمنهج واحد ، وإنما جاءت متنوعة بين الإيجاز والإطناب ، فأحيانًا تكون بإطناب ، وأحيانًا تكون بإيجاز ، أو بإيجاز قليل هو أقرب إلى الإطناب ، فحينما ننظر إلى تعريفه – مثلًا – بسيبويه (ت ١٨٠ هـ) – وهو أول عالم ترجم له – نجد أن المراغي ترجم له في حوالي ست

صفحات[١]، وكان يكفيه أن يترجم له في حدود صفحتين كحد أقصى ، فتحدث عن اسمه ونسبه ، وكنيته ولقبه ، ومولده ونشأته ، وسبب تعلمه النحو، وآراء العلماء فيه ، وكان يكفيه أن ينتقل بعد ذلك إلى ذكر وفاته ، وبهذا ينتهي الحديث ، ولكنه استطرد في الحديث ، فتحدث عن وصف كتابه "الكتاب" ، وأقوال العلماء عنه ، وآرائهم فيه ، والمناظرة التي دارت بينه وبين الكسائي ، ومرضه ، وكان يكفيه أن يتناول بإيجاز أهم العناصر التي تضع أيدينا على الخطوط العامة في حياة إمام النحاة ، ثم يحيل القارئ بعد ذلك إلى مظانّ ذلك وغيره في المراجع والمصادر .

أيضًا حينما ترجم لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٨ هـ) – وهو ثاني عالم ترجم له – نجد أنه تحدث عنه في حوالي أربع صفحات[٢]، فذكر اسمه ونسبه ، ومولده ونشأته ، وآراء الأئمة فيه ، وكان يكفيه أن ينتقل بعد ذلك إلى ذكر مؤلفاته ، ثم وفاته ، ولكنه استطرد في الحديث، فتحدث عن المناظرة التي تمت بينه وبين الأصمعي وأبي زيد الأنصاري، وسبب قدومه إلى بغداد ، وحوار دار بينه وبين الأصمعي في مجلس الرشيد عن وصف الفرس، وأخلاقه ، وكان يكفيه أن يلخص لنا الخطوط العامة العريضة في شخصيته، وما بعد ذلك يحيل القارئ فيه إلى أماكنه من المراجع .

كذلك حينما ترجم للجاحظ (ت ٢٨٥ هـ) – وهو ثالث عالم ترجم له – نجد أنه استغرق في ترجمته حوالي ثماني صفحات[٣]، فتحدث عن اسمه ونسبه، وكنيته ولقبه ، ومولده ونشأته ، وآراء العلماء فيه ، ومؤلفاته ، ووفاته، وكان يكفيه ذلك بإيجاز ؛ ليتعرف القارئ على أهم معالم حياته ، وأبرز خطوط شخصيته ، ولكنه – فضلًا عن أنه أطنب في بعض هذه الجوانب كآراء العلماء فيه – استطرد في الترجمة، فتحدث عن طريقته في الترسل،

(١) السابق : ٥٨ – ٦٣ .
(٢) السابق : ٦٣ – ٦٦ .
(٣) السابق : ٦٦ – ٧٣ .

وسعة اطلاعه، ونِحْلته، ومناظراته، ونوادره، ومرضه، وجوائزه على بعض كتبه، وذكر جزءًا من رسائله وكلامه، وشذرات من شعره، وكأن المراغي هنا تحول إلى مؤرخ، فأصبح يسجل كل ما توصل إليه، ووقعت عينه عليه.

وكذلك فعل مع ترجمته للمُبَرِّد (ت ٢٨٥ هـ) ، حيث ترجم له في أربع صفحات(١)، واستطرد في ترجمته له ، فتناول – فضلًا عن الأمور الأساسية في الترجمة – المنافرة بينه وبين ثعلب ، ومناظرة بينه وبين الحجاج، ومديح الشعراء له ، وبعض أشعاره .

وأيضًا فعل مع أبي سعيد السِّيرافي (ت ٣٦٨ هـ) ، حيث استغرق في ترجمته حوالي أربع صفحات(٢)، استطرد فيها إلى الحديث عن أخلاقه ، وتوليه القضاء ، ورفضه العمل في ديوان الإنشاء ، ومناظرة بينه وبين فيلسوف ، وشعره ونثره .

وكذلك فعل مع السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، حيث ترجم له في حوالي خمس صفحات(٣)، تناول فيها اسمه ونسبه ، ومولده ونشأته ، وحياته العلمية، ومؤلفاته ، ووفاته ، واستطرد في الحديث عن مؤلفاته في التفسير ومتعلقاته، والحديث ومتعلقاته ، والفقه ومتعلقاته ، والنحو ومتعلقاته ، والأصول والبيان والتصوف ، والتاريخ والأدب ، مستعينًا في ذلك بكتاب السيوطي المشهور " حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة "(٤).

---

(١) السابق : ٧٤ – ٧٧ .

(٢) السابق : ٨٤ – ٨٧ .

(٣) السابق : ١٧١ – ١٧٥ .

(٤) ذكره المراغي بلفظ " حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة " . السابق : ١٧٢ .

وهكذا أخذ المراغي يستطرد في ترجمة بعض من ترجم لهم ، فيتحدث عن مذاهبهم وعقائدهم[١]، ومناظراتهم[٢]، وأعمالهم وصناعاتهم[٣]، ورحلاتهم[٤]، وآدابهم[٥]، وبعض صفاتهم الخَلْقيّة والخُلُقيّة[٦].

وكما أطنب المراغي في ترجمة بعض العلماء ، نجده أيضًا قد أوجز في ترجمة البعض الآخر ، فيكتفي بالعناصر الهامة والأساسية في الترجمة ، وأحيانًا يكتفي ببعضها ، فتأتي ترجمته للعالم في بضعة أسطر كما في ترجمته لمحمد بن المظفر الخطيبي الخلخالي (ت ٧٤٥ هـ) ، وعلاء الدين البسطامي (ت ٨٧١ هـ) ، وابن قاسم العبّادي (ت ٩٩٢ هـ) ، والبُسْنوي (ت ١٠٧٠ هـ) ، ومصطفى البناني (ت ١٢٢٠ هـ) .

أو ما يقرب من صفحة كما في ترجمته لمجد الدين بن منقذ الشَّيْزَري (ت ٥٨٤ هـ) ، وعبد الواحد بن عبد الكريم الزَّمْلَكاني (ت ٦٥١ هـ) ، وبدر الدين بن مالك (ت ٦٨٦ هـ) ، وشمس الدين القَوْنوي (ت ٧٨٨ هـ) ، والمَوْلى اللطفي (ت ٩٠٠ هـ) .

وأحيانًا في صفحة كما في ترجمته لقدامة بن جعفر الكاتب (ت ٣٣٧ هـ)، وابن أبي الأصبع (ت ٦٥٤ هـ) ، ومحمد بن النحوية (ت ٧١٨ هـ) ، و شرف الدين الطِّيْبي (ت ٧٤٣ هـ) ، ويحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٤٩ هـ)،

---

(١) السابق : ٦٨ ، ٨٠ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٧ ، ١٥٢ ، ١٩٢ .

(٢) السابق : ٦٠ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ٨٥ ، ١٥٨ .

(٣) السابق : ٨٤ ، ٨٧ ، ٩٢ ، ١٤٣ ، ١٨٩ ، ١٩٤ ، ١٩٨ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٢ .

(٤) السابق : ٦٤ ، ١٠٣ ، ١٢١ . ١٢٣ .

(٥) السابق : ٧١ ، ٧٦ ، ٨٢ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٨ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٤٠ ، ١٤٥ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٨ .

(٦) السابق : ٦٦ ، ٨٤ ، ٩٩ ، ١٣٤ ، ١٤٩ ، ٢٠٣ ، ٢٠٩ ، ٢١٢ .

ومحمد بن يوسف ناظر الجيش (ت ٧٧٨ هـ)، ومحمد البابِرْتي (ت ٧٨٦هـ).

أو صفحة وبعض أخرى ، كما في ترجمته لمحمد بن عمران المَرْزُباني (ت ٣٧٨ هـ) ، وأبي منصور الثَّعالبي (ت ٤٢٩ هـ) ، وعبد اللطيف البغدادي (ت ٦٢٩ هـ) ، وبهاء الدين السُّبْكي (ت ٧٧٣ هـ) ، ومحمد بن يوسف الكِرْماني (ت ٧٨٦ هـ) .

وأحيانًا يكون إيجازه في الترجمة أقرب إلى الإطناب ، فيستغرق في ترجمة من يترجم له صفحتين كما في ترجمته لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت ٣٩٥ هـ) ، وأبي الحسن حازم الأنصاري القرطبي (ت ٦٨٤ هـ) ، ومحمد الأمير (ت ١٢٣٢ هـ) ، وأحمد الحَمَلاوي (ت ١٣٥١ هـ) ، أو صفحتين وبعض الثالثة ، كما في ترجمته لعز الدين بن أبي الحديد (ت ٦٥٥ هـ) ، ومحمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني (ت ٧٣٩ هـ) .

وقفات مع تعريف المراغي بعلماء البلاغة :

لقد ترجم المراغي لخمسة وتسعين عالمًا جعلهم رجال البلاغة ، وأحسن صنعًا في ترجمتهم، والتعريف بهم، حيث وضع يد القارئ على شخصياتهم، وأضاء له كثيرًا من جوانب حياتهم، وألقى الضوء على كثير من جهودهم لا سيما البلاغية منها، وبذل في ذلك جهدًا كبيرً ، ولكن رغم هذا الجهد الكبير، فقد وجدت بعض الهَنات – وإن شئت قلت: ملاحظات – التي لا تقلل من جهد المؤلف، ولا تعكر من صفو كتابه، وإنما هو الطبع غير المعصوم الذي قد يسهو هنا، ويتذكر هناك، ويخطئ في هذا، ويصيب في ذاك، ومن هذه الهنات وتلك الملاحظات التي قد تؤخذ على المراغي في تعريفه بهؤلاء العلماء ما يلي:

١- عدم الدقة في ذكر تاريخ وفاة بعض العلماء ، الأمر الذي قد يوقع القارئ في خلط واضطراب ، حيث ذكر أن أبا الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني متوفى سنة (٣٦٦ هـ)[(١)]، والصواب والمشهور أنه متوفى سنة

(١) السابق : ٨١ ، ٨٣ .

(٣٩٢ هـ) [١]، كما ذكر في بداية ترجمته للحسن بن بشر الآمدي أنه متوفى سنة (٣٧١ هـ)، وذكر في نهاية ترجمته له أنه متوفى سنة (٢٧١ هـ) [٢]، كما ذكر كذلك أن محمد بن عمران المَرْزُباني متوفى سنة (٣٧٨ هـ)[٣]، والأشهر في وفاته – أو الأصح عند بعض العلماء – أنه متوفى سنة (٣٨٤ هـ) ، وليس (٣٧٨ هـ) كما سبقت الإشارة إلى ذلك[٤].

٢- رغم أن المراغي كان متوخيًا الدقة في ترتيب العلماء الذين ترجم لهم معتمدًا في ذلك على الترتيب الزمني بحسب سنة الوفاة إلا أنه قد ذكر محمدًا الأَنْبابي (ت ١٣١٢ هـ) قبل محمد البسيوني البَيْباني (ت ١٣١٠ هـ) [٥]، والصواب العكس ، وذلك بأن يذكر محمد البسيوني البَيْباني (ت ١٣١٠ هـ) قبل محمد الأَنْبابي (ت ١٣١٢ هـ) .

٣- لم يلتزم المراغي بمنهج واحد في العناصر التي تناولها في ترجمة من ترجم لهم ، ولا سيما العناصر الأساسية في ذلك ، فلم يتحدث – مثلًا – عن مولد ونشأة كلٍ من محمد بن المظفر الخطيبي الخلخالي (ت ٧٤٥ هـ) [٦]، والموصلي (ت ٧٨٩هـ)[٧]، وتقي الدين بن حجة الحموي (ت ٨٣٧ هـ) [٨]، وابن المقرئ (ت ٨٣٧ هـ) [٩]، وعبد الرحمن الأخضري (ت أواخر القرن

(١) وفيات الأعيان: ٣ / ٢٨١، سير أعلام النبلاء: ١٧/ ٢١/ شمس الدين الذهبي/ تحقيق: شعيب الأرنؤوط/ مؤسسة الرسالة/ بيروت/ لبنان/ بدون تاريخ، الأعلام: ٢/ ١١٥.

(٢) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ٨٧ ، ٩٠ .

(٣) السابق : ٩٠ ، ٩١ .

(٤) البحث صـ ٨٨١٥ .

(٥) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ٢١٠ ، ٢١١ .

(٦) السابق : ١٣٧ .

(٧) السابق : ١٥٠ .

(٨) السابق : ١٦٢ .

(٩) السابق : ١٦٣ .

العاشر الهجري)[١]، وعبد الرحيم العباسي (ت ٩٦٣ هـ)[٢]، وابن قاسم العبّادي (ت ٩٩٢ هـ)[٣]، وعبد الحكيم السِّيالكوتي (ت ١٠٦٧ هـ)[٤]، والبسنوي (ت ١٠٧٠هـ)[٥]، وابن يعقوب المغربي (ت ١١١٠هـ)[٦]، وعبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣هـ)[٧]، ومصطفى البناني (ت ١٢٢٠هـ)[٨].

٤- لم يلتزم المراغي بمنهج واحد كذلك في ذكر مؤلفات من ترجم لهم ، فأحيانًا يذكر ما للعالم من مؤلفات بلاغية ، ويردف ذلك ببعض مؤلفاته الأخرى ، وذلك هو الأشهر والأغلب ، وأحيانًا يكتفي بذكر ما للعالم من مؤلفات بلاغية فقط ، وذلك قليل نادر ، فنجد - مثلًا - أنه قد اكتفى بأن ذكر لمجد الدين بن منقذ الشَّيْزَري (ت ٥٨٤ هـ) "التفريع في البديع"[٩]، ولأبي يعقوب السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) " مفتاح العلوم "[١٠]، ولعبد الواحد بن عبد الكريم الزَّمْلَكاني (ت ٦٥١ هـ) " التبيان في علم البيان "[١١]، ولابن أبي الأصبع (ت ٦٥٤ هـ) " بديع القرآن " و " تحرير التحبير في علم البديع"[١٢]، ولمحمد بن المظفر الخطيبي الخلخالي (ت ٧٤٥ هـ) " مفتاح

---

(١) السابق : ١٨٠ .
(٢) السابق : ١٨٢ .
(٣) السابق : ١٨٤ .
(٤) السابق : ١٨٥ .
(٥) السابق : ١٨٦ .
(٦) السابق : ١٩٠ .
(٧) السابق : ١٩١ .
(٨) السابق : ٢٠٠ .
(٩) السابق : ١٠٦ . وصواب عنوان ذلك الكتاب " البديع في البديع " ، ولعل المراغي رآه رآه هكذا في بعض كتب التراجم ، أو أن ذلك من الأخطاء المطبعية .
(١٠) السابق : ١١٠ .
(١١) السابق : ١٢٥ .
(١٢) السابق : ١٢٦ ، ١٢٧ .

تلخيص المفتاح "[١]، ولصفي الدين الحلي (ت ٧٥٠ هـ) بديعيته المسماة " الكافية البديعية " وشرحها المسمى " النتائج الإلهية في شرح الكافية البديعية"[٢]، ولابن جابر الأندلسي (ت ٧٨٠ هـ) بديعيته المسماة " الحلة السِّيَرا في مدح خير الوَرى "[٣]، ولتقي الدين بن حجة الحموي (ت ٨٣٧ هـ) بديعيته المسماة " تقديم أبي بكر " وشرحها المسمى " خزانة الأدب "[٤]، ولابن المقرئ (ت ٨٣٧ هـ) بديعيته المسماة " الجواهر اللامعة في تجنيس الفرائد الجامعة للمعاني الرائعة "[٥]، ولعبد الرحيم العباسي (ت ٩٦٣ هـ) " معاهد التنصيص على شواهد التلخيص "[٦].

٥- أن المراغي قد جعل كل من وُجِدَت له مشاركة في التأليف البلاغي – ولو كانت كُتَيِّبًا صغيرًا أو رسالة – من رجال البلاغة ، ونظمه في سلكها ، ولو ركز على من كانت لهم جهود ملموسة بارزة واضحة ، وأعطانا صورة – ولو مختصرة – عن أبرز ما في هذه الجهود ، وأبان لنا عما أضافته إلى البلاغة، لكان ذلك أكثر فائدة ، وأزيد عائدة ، وأغزر جدوى ، فمثلًا قد جعل من رجالها أبا سعيد السِّيرافي (ت ٣٦٨ هـ) ، وعرف به ، وأطنب في ترجمته ، حيث استغرق فيها حوالي ثلاث صفحات ونصف[٧]، وذكر أن له كتابًا في البلاغة بعنوان " صنعة البلاغة والشعر " ، ثم ذكر أنه لم يطلع عليه ليعلم النهج الذي سلكه فيه ، إذن فكيف جعله ضمن رجال البلاغة من أجل كتاب لم يطلع عليه ، ولم يعلم النهج الذي سلكه فيه ؟ كما جعل من رجالها أحمد الدردير

---

(١) السابق : ١٣٧ .
(٢) السابق : ١٣٩ .
(٣) السابق : ١٤٧ .
(٤) السابق : ١٦٢ .
(٥) السابق : ١٦٣ .
(٦) السابق : ١٨٢ .
(٧) السابق : ٨٤ – ٨٧ .

(ت ١٢٠١ هـ) من أجل رسالتين : الأولى بعنوان " تحفة الإخوان في علم البيان " ، و الثانية بعنوان " رسالة في الاستعارات الثلاث "[١]، والأولى لا تتجاوز صفحتين أو ثلاث صفحات بحد أقصى، وهي في مستوى طالب المرحلة الثانوية ، والثانية لم أطلع عليها، وربما تكون – والله أعلم – في نفس حجم السابقة ومستواها.

تنبيهان:

١– لقد اتسم المراغي بالأمانة العلمية ، حيث كان يتوقف عن الحكم على أي كتاب في البلاغة لم يطلع عليه ، ومن ذلك قوله عن كتاب " البلاغة " للمُبَرِّد (ت ٢٨٥ هـ) : " ولم يصل إلينا كتابه " البلاغة " لنعلم المَهْيَع الذي سلكه ، والطريق التي رسمها في تأليفه "[٢]، وقوله عن كتاب " صنعة البلاغة والشعر " لأبي سعيد السِّيرافي (ت ٣٦٨ هـ) : " ولم نطلع عليه حتى نعلم الطريق التي سلكها فيه ، فربما كان فيه نهج جديد في التأليف يخالف نهج معاصريه "[٣]، وقوله عن منهج محمد بن عمران المَرْزُباني (ت ٣٧٨ هـ) في في كتابه " المُفَصَّل في البيان والفصاحة " : " ولا ندري النهج الذي سلكه في تأليفه ، فلا نستطيع أن نحكم عليه حكمًا صحيحًا "[٤]، وقوله عن كتاب "لطائف التبيان في علوم البيان " وشرحه لشرف الدين الطِّيْبي (ت ٧٤٣ هـ): " لم نطلع عليهما حتى نحكم على نهج تأليفهما "[٥]، وقوله عن منهج الطِّيْبي فيهما: "ولم نعلم الطريق التي سلكها حتى نحكم عليه حكمًا صحيحًا "[٦].

---

(١) السابق : ١٩٧ .
(٢) السابق : ١٠ .
(٣) السابق : ٨٦ .
(٤) السابق : ٩٠ .
(٥) السابق : ٣٥ .
(٦) السابق : ١٣٧ .

٢- لقد كان للمراغي أثناء ترجمته لهؤلاء العلماء تعليقات على بعض الكتب البلاغية أو مؤلفيها تنم عن وعيه العميق ، وفهمه الثاقب ، ونظره الصائب ، وذوقه العالي ، حيث قال عن عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ): "واضع أسس البلاغة ، والمشيد لأركانها ، وفاتح مغلق أبوابها ، وكاشف خبيئها ، وموضح مشكلاتها ... وقد استطاع ذلك بما آتاه الله من قريحة وقادة، وعقل فياض ، وقلم سيال ، وفكر غواص على دقائق المعاني التي خفيت على غيره الأحقاب الطوال "[١]، وقوله عن صنيع أبي يعقوب السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) في كتابه " مفتاح العلوم " : " وقد أحسن فيه غاية الإحسان ، ودل على ما له من طول الباع ، وسعة الاطلاع ، والفضل الجم ، والدقة في الرواية ، والألمعية في الدراية "[٢]، وقوله عن المكانة البلاغية لكتاب " التبيان في علم البيان " لعبد الواحد بن عبد الكريم الزَّمْلَكاني (ت ٦٥١ هـ) : " هو عمدة في هذا الفن "[٣]، وقوله عن بديعية صفي الدين الحلي (ت ٧٥٠ هـ): " وقد نسج على منوالها كل من جاء بعده من أرباب البديعيات ، ومنها لحمتها وسداها[٤]" [٥].

(١) السابق : ١٠٠ .
(٢) السابق : ١١١ .
(٣) السابق : ١٢٥ .
(٤) عند المراغي بلفظ " ومنه لحمتها وسداها " . السابق : ١٣٩ . والصحيح ما أثبته ؛ ليستقيم المعنى .
(٥) السابق نفسه .

تذييل " تقسيم البلاغة ثلاثة أقسام ، وجعل تحسين البديع عرضيًّا لا ذاتيًّا":

بعد أن ترجم المراغي للسكاكي كتب حوالي عشر صفحات تحت عنوان " لا وجه لتقسيمه علوم البلاغة أقسامًا ثلاثة ، ولا لجعله تحسين البديع عَرَضيًّا لا ذاتيًّا"(١)، وناقش السكاكي في قضيتين : الأولى هي تقسيمه البلاغة ثلاثة أقسام ، وهي علوم البلاغة الثلاثة : المعاني والبيان والبديع ، والثانية هي جعله تحسين البديع عَرَضيًّا لا ذاتيًّا ، واعترض على السكاكي في هاتين القضيتين ، وناقشه مناقشة موضوعية مؤيدة بالأدلة ، ومدعومة بالبراهين ، ومؤكدة بالحجج التي تثبت وتدعم ما ذهب إليه .

فقد رأى بادئ ذي بدء أنه لم يعلم أحدًا قبل السكاكي قسم علوم البلاغة إلى أقسامها الثلاثة المعروفة ، وأنه لا وجه لهذا التقسيم ، ولا مستند له من رواية ولا دراية ، كما لا توجد جهة للتمايز تفصل كل علم عن قسيميه ، يقول : " لا نعلم أحدًا سبق السكاكي إلى قسمة علوم الفصاحة الأقسام الثلاثة المعروفة ، ولا نرى لهذا التقسيم وجهًا صحيحًا ، ولا مستندًا من رواية ولا دراية ؛ فليس هناك جهة للتمايز تفصل كل قسم عن قسيميه ، ولا في أغراض كل علم ولا في موضوعه ما يجعله وحدة مستقلة عن العلمين الآخرين في بحوثه ومسائله حتى يمكن الناظر أن يقتنع بوجاهة هذا التقسيم ، ويبرهن على صحته ، بل على العكس نرى بينها اتصالًا وثيقًا في الأغراض والمقاصد ، واتحادًا في جهة البحث ، فلا يمكن فصل بعضها من بعض ، وإن أمكن فعلى نحو آخر غير ما ذكره السكاكي ، ومن اقتفوا أثره ، وساروا على سننه ، دون أن يدلوا بحجة ناصعة "(٢).

وأخذ المراغي قبل أن يناقش هاتين القضيتين ينقل للقارئ ما ذكره السكاكي ونقله عنه الخطيب القزويني ؛ ليضع الأمر أمام القارئ ؛ ليكون على ذُكْر

---

(١) السابق : ١١١ – ١٢٠ .

(٢) السابق : ١١١ .

منه ، وحتى لا يكون ردّه متجهًا إلى شيء بعيد عن متناول يديه ، ولتظهر الحجة واضحة ، وتسفر الحقيقة عن وجهها دون أن تغطيه ظلمة أو شك[١].

فنقل عن الخطيب القزويني تعريفه لعلم المعاني بأنه " هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال "[٢]، وذكر أن سعد الدين التفتازاني أخرج في شرحه لهذا التعريف علمي البديع والبيان ؛ لأن المحسنات البديعية تكون بعد رعاية المطابقة ، ولأن علم البيان لا يبحث فيه عن أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال[٣].

كما نقل عن الخطيب أيضًا قوله في تعريف علم البيان : " هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق وتراكيب مختلفة في وضوح الدلالة عليه "[٤]، وقوله في تعريف البديع : " هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ، ورعاية وضوح الدلالة "[٥]، ونقل عن سعد الدين التفتازاني شرحه لهذين التعريفين[٦].

---

(١) السابق : ١١٢ .

(٢) السابق : ١١٢ ، وينظر : التلخيص في علوم البلاغة : ٣٧ / شرح : عبد الرحمن البرقوقي / دار الفكر العربي / القاهرة / الطبعة الأولى / ١٩٠٤م .

(٣) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ١١٢ ، وينظر : مختصر السعد – ضمن شروح التلخيص – : ١ / ١٥٥ – ١٥٧ / سعد الدين التفتازاني / دار السرور/ بيروت / لبنان / بدون تاريخ .

(٤) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ١١٣ ، وينظر : التلخيص في علوم البلاغة : ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

(٥) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها: ١١٣، وينظر: التلخيص في علوم البلاغة: ٣٤٧ .

(٦) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ١١٣ ، وينظر : مختصر السعد – ضمن شروح التلخيص – : ٣ / ٢٥٧ – ٢٦١ ، ٤ / ٢٨٣ – ٢٨٥ .

ثم أخذ المراغي بعد ذلك في تفنيد هذا التقسيم الذي جاء به السكاكي ، وبيان خطئه ، ورفضه له ، وعدم التسليم به من حيث الرواية والدراية ، وذلك على النحو التالي :

أولًا : أدلة الرفض من حيث الرواية :

١- أن البلاغيين المتقدمين الذين كتبوا في البلاغة قبل السكاكي كأبي هلال العسكري في كتاب " الصناعتين " ، وابن سنان الخفاجي في كتاب " سر الفصاحة " ، وعبد القاهر الجرجاني في كتابي " أسرار البلاغة " و " دلائل الإعجاز " ، لم ينحوا هذا النحو الذي نحاه السكاكي ، ولم يقسموا البلاغة إلى علوم ثلاثة ، وإنما كتبوا فيها بوجه عام ، وسمى عبد القاهر الجميع بيانًا .

٢- أن الزمخشري مع علو كعبه في البلاغة كثيرًا ما يسمي هذه العلوم بالبيان ، وأحيانًا يسميها بالبديع .

٣- أن عبد الله بن المعتز ، وقدامة بن جعفر ، وأبا هلال العسكري ، وابن رشيق القيرواني ، وعبد القاهر الجرجاني أدخلوا في البديع مباحث البيان .

٤- أن في قول الخطيب القزويني : " وكثير يُسَمِّي الجميع علم البيان ، وبعضهم يُسَمِّي الأول علم المعاني ، والأخيرين علم البيان ، والثلاثة علم البديع "[(١)] دليلًا على أن التقسيم إلى معانٍ وبيان وبديع لم يقل به أحد قبل السكاكي ؛ إذ لم يصرح الخطيب بعزوه لأحد[(٢)].

لكن قد يرد على المراغي في هذه الأدلة التي استند إليها من الرواية بأن عدم قول أحد ممن تقدم على السكاكي بهذا التقسيم الثلاثي ، وأن كثيرًا من البلاغيين يُسَمِّي العلوم الثلاثة البيان ، وأن بعضهم كان يُسَمِّي الأول علم المعاني ، والأخيرين علم البيان ، أو يُسَمِّي الثلاثة علم البديع ، وإدخال

(١) التلخيص في علوم البلاغة : ٣٧ ، وينظر : تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ١١٥ .

(٢) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ١١٤ ، ١١٥ .

مباحث البيان في البديع لدى بعض البلاغيين ، وعدم تصريح الخطيب القزويني بعزو هذا التقسيم لأحد ، كل ذلك لا يعني عدم وجود هذا التقسيم ؛ لأن خضوع علم البلاغة لهذا التقسيم لا يعني عدم قابلية وإمكان وجوده ؛ لأن عدم اكتشاف الحقيقة في زمن ما لا يعني عدم وجودها ، ولأن اكتشاف المتأخر للشيء الذي لم يكتشفه المتقدم لا يعني عدم قابلية وجوده سواء قال به المتقدم أو لم يقل ، فهو – وإن لم يكن موجودًا شكلًا – موجود ضمنًا وحكمًا.

كذلك يرد عليه بأن ادعاءه – إذا سلمنا له فيما ادعاه – أن السكاكي بهذا التقسيم يكون مخطئًا ؛ لأنه بِدْعٌ في هذا الأمر ، حيث فعل ما لم يفعله السابقون ، ادعاء مردود ، ولا يدل على فساد منهج السكاكي ؛ لأن الوقوف عند ما جاء به المتقدمون يعوق حركة تطوير العلوم ، ، ويثبط العزائم ، ويكون مدعاة لفتور الهمم ، وترك البحث والتتبع ، وإذا كان القدماء لم ينهجوا هذا النهج فليس من الفساد أن يأتي آخرون ، ويبحثوا بطريقة أخرى تختلف عن منهجهم(١).

ثانيًا : أدلة الرفض من حيث الدراية :

١– أن الثمرة المستفادة من علم المعاني – وهي معرفة أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال – تستفاد أيضًا من علم البيان والبديع ؛ لأنا لا نعبر بتشبيه ولا باستعارة ولا كناية ولا غيرها إلا إذا اقتضاها المقام ، فنوازن بين عدة تعبيرات ، ونرى أنسبها بحال المتلقي فنعبر به ؛ ولذا فالمطابقة لمقتضى الحال مطلوبة في مباحث كلا العلمين ، والاختلاف في الوضوح والخفاء موجود في مسائلهما معًا .

(١) البلاغة عند السكاكي : ١٢٤ ، ١٢٥ / د / أحمد مطلوب / مكتبة النهضة / بغداد / الطبعة الأولى / ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤م .

٢- أن التحسين والتجميل والتزيين كما يوجد في علم البديع يوجد أيضًا في علمي المعاني والبيان ، ودليل ذلك أن عبد الله بن المعتز لما وضع علم البديع جعل من أنواعه الاستعارة والتمثيل والكناية ، وسوّى بينها وبين بقية أنواع البديع التي ذكرها ، وسار على نهجه قدامة بن جعفر وأبو هلال العسكري وابن رشيق القيرواني ، ولم يقولوا بأن بعضًا منها يزيد على بعض في الفصاحة والبلاغة ، وهم ليسوا بأقل منه رسوخًا في نقد الكلام ، وبيان جيده من رديئه ، وغثّه من سمينه .

٣- أن مما يدل على عدم تمايز مباحث هذه العلوم الثلاثة أن بعض البلاغيين أدخل المجاز العقلي في علم البيان ، وأدخله غيرهم في علم المعاني، كما أدخل بعض البلاغيين التذييل والاحتراس والاعتراض والحشو في علم البديع ، وأدمجها غيرهم في علم المعاني ، وجعلوها من أقسام الإطناب ، فلو كانت هناك حدود واضحة تميز قسمًا من قسم لما حدث هذا الاختلاط .

٤- أن الذي ينبغي أن يُعَوَّل عليه في التقسيم شيء آخر ، وهو ما أفصح عنه عبد القاهر الجرجاني في أكثر من موضع في كتابه " دلائل الإعجاز "[(١)]، وهو مرجع المزية والحسن ، والذي بناء عليه قسم الكلام قسمين ، وهما كالتالي : أ- قسم تعزى المزية والحسن فيه إلى اللفظ ، ويسمى علم البيان ، وهو العلم الذي يبحث عن فصاحة اللفظ . ب- قسم تعزى المزية والحسن فيه إلى النظم ، ويسمى علم معاني النحو ، أو علم المعاني على سبيل الاختصار في التسمية ، وهو العلم الذي يبحث عن فصاحة النظم .

---

(١) من ذلك قول عبد القاهر: " اعلم أن الكلام الفصيح ينقسم قسمين : قسم تعزى المزية والحسن فيه إلى اللفظ ، وقسم يعزى ذلك فيه إلى النظم " . دلائل الإعجاز : ٤٢٩ ، وقوله في موضع آخر : " إن الكلام الفصيح ينقسم قسمين : قسم تعزى المزية فيه إلى اللفظ ، وقسم تعْزى فيه إلى النظم " . السابق : ٤٥١ .

٥- أن الذي لفت انتباه السكاكي إلى تسمية علم المعاني بهذا الاسم هو كثرة استخدام عبد القاهر لمصطلح " معاني النحو " ، فاختزله السكاكي في علم المعاني .

٦- أن من العجب أن تكون الفائدة من معرفة علم المعاني مجرد معرفة أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال كمعرفة المواضع التي يكون فيها الإيجاز ، والتي يكون فيها الإطناب ، والمواضع التي يؤكد فيها الكلام ، والمواضع التي لا يؤكد فيها ، إلى غير ذلك ، ولم يكن من فائدته أن ننشئ كلامًا مشتملًا على تلك الخصوصيات التي تعلمناها من ذلك العلم ، وأن يكون من فوائد معرفة علم البيان القدرة والاستطاعة على التعبير عن المعنى الواحد بأساليب مختلفة ، فتكون فائدة معرفة علم المعاني هي مجرد المعرفة فقط ، وتكون فائدة معرفة علم البيان إيجابية ، وهي القدرة على إنشاء الكلام العربي الفصيح[١].

وعَقَّبَ المراغي على هذا الدليل السادس مقترحًا ما ينبغي أن يكون بقوله : " وقد كان من الخير أن نجعل الفائدة من معرفة العلم الأول كالفائدة من معرفة العلم الثاني ، والعكس بالعكس ، فإما أن نقول : إنه علم يعرف به إيراد الأساليب العربية المختلفة المطابقة لمقتضى الحال بعد النظر في المقامات ، واختيار الألفاظ التي تناسب كل مقام منها ، حتى تكون الألفاظ وفق هذه الأحوال والمقامات ، أو نقول : إن علم البيان علم نعرف به الفروق بين الأساليب المختلفة الدالة على المعنى الواحد لنحاكيها عند التعبير عن مثل هذه المعاني ، فنجري على السنن العربي ، ونسلك الطريق التي سلكوها ، وبذا يكون توافق بين أغراض العلمين ، لا تخالف بينهما كما هو واضح من النظر في كلامهم "[٢].

---

(١) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ١١٩ ، ١٢٠ .

(٢) السابق : ١٢٠ .

والحق الذي أراه أن النقد الذي وجهه المراغي للسكاكي – في أنه قسم البلاغة ثلاثة أقسام ، وجعل تحسين البديع عرضيًّا لا ذاتيًّا – هو نقد في غير محله ، ويعد إسرافًا في فهم كلام السكاكي لعدة أسباب ، وهي كالآتي :

١- أن السكاكي لم يطلق على وجوه تحسين الكلام اسم البديع ، ولم يصرح بفصل علم البديع عن علمي المعاني والبيان ، وإنما ألحقه بهما حيث قال بعد فراغه منهما ، وحصره البلاغة فيهما: " وإذ قد تقرر أن البلاغة بمرجعيها[١]، وأن الفصاحة بنوعيها ، مما يكسو الكلام حلة التزيين ، ويرقيه أعلى درجات التحسين ، فههنا وجوه مخصوصة، كثيرًا ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام ، فلا علينا أن نشير إلى الأعرف منها ، وهي قسمان : قسم يرجع إلى المعنى ، وقسم يرجع إلى اللفظ "[٢]. وهذا ما أكده د / عبد العزيز عتيق ، حيث ذكر أن السكاكي ألحق البديع بعلمي المعاني والبيان ، ولم ينظر إليه باعتباره علمًا مستقلًا قائمًا بذاته ، وإلا كان عليه أن يعامله معاملة علمي المعاني والبيان ، ويعطيه من العناية ما أعطاه لهما[٣].

٢- أن الذي صرح بمصطلح البديع ، وفصل علم البديع عن علمي المعاني والبيان ، وفُهِمَ من كلامه لدى بعض البلاغيين أنه جعل تحسين البديع عرضيًّا وليس ذاتيًّا هو الخطيب القزويني وليس السكاكي ، حيث عرف البديع بأنه " هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة "[٤]، يقول د / الشحات أبو ستيت : " ويرى بعض الباحثين أن الخطيب مقتدٍ في هذا بالسكاكي الذي حصر البلاغة في علمي المعاني

---

(١) أي المعاني والبيان .

(٢) مفتاح العلوم : ٤٢٣ .

(٣) علم البديع : ٢٩ / دار الآفاق العربية / القاهرة / الطبعة الأولى / ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦م .

(٤) التلخيص في علوم البلاغة : ٣٤٧ .

والبيان ... وهذا الرأي موضع نظر ؛ لأن كلام السكاكي غير قاطع في إخراج وجوه البديع من البلاغة ، ولكنه يجعل هذه الوجوه تعدل الفصاحة والبلاغة في تحسين الكلام وتزيينه ، وإذا كان التحسين الذي تعقبه الفصاحة والبلاغة في الأساليب ذاتيًا فالتحسين الذي تعقبه هذه الوجوه في الكلام كذلك ، فوجوه البديع عنده مساوية لوجوه الفصاحة والبلاغة في كونهما مما يكسو الكلام حلة التزيين ، ويرقيه أعلى درجات التحسين ... وتأخير السكاكي الحديث عن وجوه التحسين إلى الفراغ من علمي المعاني والبيان ، وإفراده لها بالذكر لا يقتضي أنه جعلها ذيلًا وذَنَبًا للبلاغة ، ولا يشير إلى أنه فصلها عنها"[(١)].

ويقول د / علي عشري زايد في بيان ما خالف فيه الخطيب القزويني السكاكي : " ولقد خالف الخطيب بالفعل أستاذه في أشياء كثيرة جوهرية ، فهو – مثلًا – يعتبر البديع فرعًا أساسيًّا من فروع البلاغة الثلاثة، وقسيمًا للمعاني والبيان، على حين اعتبره السكاكي – كما رأينا – ملحقًا بهما، وتابعًا لهما"[(٢)].

٣– أن الخطيب القزويني حينما عرف علم البديع بقوله : " هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة "[(٣)]، وقيده بأن تحسينه الكلام يكون " بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة " هو الذي فهم البعض من كلامه – وليس من كلام السكاكي – أنه جعل تحسين البديع عرضيًّا لا دخل له بالبلاغة التي أساسها رعاية المطابقة لمقتضى الحال ، وكأن البديع من توابع البلاغة ، لا من أصولها ، وكان الأولى بالخطيب القزويني ألا يقيد التعريف بهذا القيد ، ويكون هكذا " هو علم يعرف به وجوه

---

(١) دراسات منهجية في علم البديع : ٢٥٨ ، ٢٥٩ / دار خفاجي / قليوبية / الطبعة الأولى / ١٤١٤هـ – ١٩٩١م ، وينظر : الصبغ البديعي : ٤٩٨ – ٥٠٦ / د / أحمد إبراهيم موسى / دار الكاتب العربي / القاهرة / ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٩م .

(٢) البلاغة العربية : ١٠٥ ، وينظر : البلاغة تطور وتاريخ : ٢٨٨ ، ٢٨٩ / د / شوقي ضيف / دار المعارف / القاهرة / الطبعة الثامنة / ١٩٩٢م .

(٣) التلخيص في علوم البلاغة : ٣٤٧ .

تحسين الكلام من جهة لفظه ومعناه "[١]، ولعل الأمر اختلط على المراغي، فظن أن الخطيب مقتدٍ في ذلك بالسكاكي .

٤- أن المراغي نظر إلى تقسيم البلاغة من خلال تعريفات الخطيب القزويني لعلومها ، وليس من خلال كلام السكاكي نفسه ، وفرق بين كلام السكاكي في كتابه " مفتاح العلوم " وكلام الخطيب في تلخيصه له ، وليس من الدقة أن ينقد السكاكي على أساس كلام غيره ، ويحاكم بجريرة أحد تلاميذه[٢].

٥- أن الثمرة المستفادة من معرفة علم المعاني – وهي معرفة أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال – تستنبط من كلام السكاكي عن المحسنات البديعية ؛ لأنه يرى أن أصل الحسن فيها " أن تكون الألفاظ توابع للمعاني ، لا أن تكون المعاني لها توابع "[٣]، وما دامت المحسنات تأتي بعد مراعاة علمي المعاني والبيان فلا بد من أن تكون مطابقة لمقتضى الحال ، وإلا كانت عبثًا[٤].

ونلحظ هنا أن رد المراغي على السكاكي في تقسيمه علوم البلاغة إلى ثلاثة أقسام ، وجعله تحسين البديع عرضيًّا لا ذاتيًّا – وإن كان مجانبًا للصواب في كثير من الأحيان – يعكس سعة ثقافته واطلاعه ، ويظهر مهارته في العرض ، ويبرهن على قدرته العقلية والمنطقية ، حيث دعم رده بالأدلة والحجج التي يؤيد بها وجهة نظره ، والتي قد يكون لها وجاهتها وحظها من القبول والإقناع في بعض الأحيان .

---

(١) بغية الإيضاح : ٤ / ٥٧١ / عبد المتعال الصعيدي / مكتبة الآداب / القاهرة / الطبعة السابعة عشرة / ١٤٢٦- ٢٠٠٥م .

(٢) البلاغة عند السكاكي : ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٣) مفتاح العلوم : ٤٣٢ .

(٤) البلاغة عند السكاكي : ١٢٩ .

الخاتمة

بعد هذه الإطلالة ، وتلك الجولة التي قضيتها مع كتاب " تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها " للمراغي ، وصحبته فيها ، فقد استقر هذا البحث ، وأسفر عن عدة نتائج وتوصيات ، من أهمها ما يلي :

١- أن هذا الكتاب يعد حلقة مهمة في معرفة رحلة البلاغة العربية ، وخط سيرها البياني منذ نشأتها حتى العصر الحاضر ، كما يعد أيضًا قيمة عظيمة وجليلة ، حيث أبرز كثيرًا من كنوز علوم البلاغة ، وجواهر المؤلفات فيها ، ولا سيما المؤلفات التي طواها الزمن ، أو تاهت في غياهب النسيان ، كما يعد كذلك مصباحًا مضيئًا كشف به صاحبه كثيرًا من جوانب شخصيات رجال البلاغة الذين ترجم لهم ؛ ولذا أوصي الباحثين بدراسة الكتب الأخرى التي تناولت مسار تاريخ وتطور هذا الفن ، والتعريف بعلمائه ؛ كي يتزودوا منها ، وكي تزيد شخصية البلاغة العربية وضوحًا وجلاء ، ونتعرف أكثر على أطوارها ومراحلها التي مرت بها ، وجهود علمائها الذين أسهموا في بناء صرحها الشامخ .

٢- أن معرفة تاريخ تأليف أي كتاب من الأهمية بمكان ، حيث دلنا تاريخ تأليف المراغي لهذا الكتاب أنه آخر كتبه البلاغية ، الأمر الذي جعلنا نستطيع أن نجزم باطمئنان بأن ما في هذا الكتاب هو آخر ما توصل إليه المراغي في فكره البلاغي ، وجعلنا نستطيع أن نقول : إن ما ذكره المؤلف في هذا الكتاب – كنسبة وضع علمي المعاني والبيان لسيبويه (ت ١٨٠ هـ) [(١)]– آخر ما توصل إليه ، بخلاف ما ذكره في بعض كتبه الأخرى من نسبة وضع علم البيان لأبي عبيدة (ت ٢٠٨ هـ) ، والإشارات الأولى لعلم المعاني إلى الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) ؛ ولذا أوصي الباحثين بمعرفة تواريخ المؤلفات حتى

(١) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ٤٣ – ٥٧ ، البحث صـ ٨٧٧٧ .

تكون النتائج التي يتوصلون إليها قائمة على أسس قوية ، ومعتمدة على براهين متينة ، ومنطقية مبنية على مقدمات أدت إليها .

٣- أن المراغي لم يكن موفقًا كل التوفيق في ذكر العلماء الخمسة والتسعين الذين عرف بهم على أنهم رجال البلاغة ، ؛ لأنه ذكر منهم علماء كانت إسهاماتهم البلاغية محدودة ، وتأثيرهم فيها يكاد يكون محدودًا أيضًا ، وذلك من حيث الاقتصار على التقليد لجهود السابقين ، أو الإضافة الضعيفة المحدودة ، في حين أنه قد ترك كثيرًا من علماء البلاغة الذين كانت لهم إسهامات وجهود أعظم بكثير من جهود وإسهامات بعض من ترجم لهم ، ولو اقتصر المراغي على التعريف بالأعلام الذين لهم آثار ملحوظة ومضيئة ، وإسهامات واضحة ومؤثرة في نشأة البلاغة وتطورها ، وعرض لنا أفكارهم وناقشها كما فعل مع كلٍّ من سيبويه (ت ١٨٠ هـ) [١] والسكاكي (ت ٦٢٦ هـ) [٢]، لكان ذلك أكثر فائدة ، وأعظم جدوى ، وقد استدركت عليه ستة وعشرين عالمًا هم من كبار العلماء الذين لا يحق لمن يكتب في تاريخ هذا الفن أن يتجاهلهم ، أو يغض الطرف عن جهودهم[٣]؛ ولذا أوصي الباحثين بأن يكونوا على حذر وحيطة شديدين في اختياراتهم أخذًا أو تركًا .

٤- أن ما رآه المراغي وذهب إليه من أن سيبويه (ت ١٨٠ هـ) هو واضع علمي المعاني والبيان أمر جدير بالاعتبار ، وعلى درجة عالية من الصواب ، يؤيد ذلك ويؤكده ما حشده من أدلة ، وما ساقه من براهين[٤].

٥- أن المؤلفات البلاغية قبل عبد القاهر يقل ويضعف فيها التدقيق في وضع الضوابط والحدود والتعريفات كما هو الحال عند أبي هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) في " الصناعتين " ، وابن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣ هـ) في

---

(١) السابق نفسه .

(٢) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ١١١ - ١٢٠ ، البحث صـ ٨٧٨٩ .

(٣) البحث صـ ٨٨١٨ .

(٤) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ٤٣ - ٥٧ ، البحث صـ ٨٧٦٦ .

" العمدة " ، وذلك بخلاف ما يراه المراغي من أنها ساذجة ليس فيها شيء من ذلك باستثناء كتابي قدامة بن جعفر الكاتب (ت ٣٣٧ هـ) : " نقد الشعر " و " نقد النثر "[١].

٦- أن السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) ومن دار في فلكه - رغم ما يُحْمَد لهم من ضبط مسائل البلاغة وحدودها وضوابطها - لم يستطيعوا أن يحققوا التوازن الدقيق بين الذوق والحاسة الفنية وبين الموضوعية العلمية العقلية ، فكانوا غالبًا ينحازون إلى جانب الموضوعية العلمية العقلية على حساب الذوق والحاسة الفنية ، " فتحولت البلاغة لديهم من فن إلى علم له قواعده ونظرياته التي إن نجحت في تكوين طبقات من البلاغيين ، فهيهات أن تنجح في تكوين البلغاء "[٢].

٧- لقد رأى المراغي - وهو مصيب فيما رأى - أن أفضل من قرأ سيبويه (ت ١٨٠ هـ) ممن جاء بعده ، وفهمه حق الفهم ، وتدبره حق التدبر، واستنبط منه العلم الغزير ، والكثير من الفوائد هو عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) [٣]؛ ولذا أوصي الباحثين ممن يريدون فهم ما انطوى عليه كتاب سيبويه أن يرجعوا إلى كتابي عبد القاهر : " أسرار البلاغة " و " دلائل الإعجاز " .

٨- لقد تحلى المراغي بالأمانة العلمية، حيث نراه في أكثر من موضع من كتابه هذا يتوقف في الحكم على الشيء عندما لا يكون لديه علم به[٤]؛ ولذا أوصي الباحثين بالأمانة العلمية ؛ لأن التوقف عن الحكم لعدم العلم حتى

---

(١) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ١٣ ، البحث صـ ٨٧٨١ .

(٢) في تاريخ البلاغة العربية : ٣٠١ / د / عبد العزيز عتيق / دار النهضة العربية / بيروت / لبنان / بدون تاريخ .

(٣) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ٥٧ ، البحث صـ ٨٨١٢ .

(٤) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها : ١٠ ، ٣٥ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ١٣٧ ، البحث صـ ٨٨٢٨ .

يأتي من عنده العلم فيحكم به أفضل من أن يجتهد الإنسان بغير علم فيَضِلّ ويُضِلّ .

٩- أن المراغي حينما يرفض شيئًا ما فإنه لا يكتفي بمجرد الرفض ، وإنما يسوق بين يدي كلامه الدليل والبرهان ، بل ويقدم الحل والبديل لما يرفضه ، كذلك حينما يستحسن شيئًا ما لا يكتفي بمجرد الاستحسان ، وإنما يأتي بالدليل والسلطان تأييدًا لما استحسنه ؛ ولذا أوصي الباحثين بألا تكون أحكامهم بالقبول والاستحسان ، أو بالرفض والاستقباح أحكامًا مجردة عارية من الدليل والبرهان ؛ لكي تكون موضوعية ، وتلقى الإقناع والقبول ، ويوجد لها صدى لدى من يخاطب بها .

١٠- أن البلاغة عند شراح السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) وملخصي بلاغته تكاد تنحصر في أمرين : الأول هو الالتزام ببلاغة السكاكي على أنها ختام البلاغة ، والذروة التي ليس بعدهم مجال لاجتهاد مجتهد ، أو زيادة لمستزيد ، والثاني هو إظهار المقدرة والبراعة في شرح كتاب " تلخيص المفتاح " للخطيب القزويني (ت ٧٣٩ هـ) .

هذا ، ولا يسعني في نهاية هذا البحث إلا أن أشكر الله – ﷻ– على عونه وتوفيقه ، وأسأله – تبارك وتعالى – أن يتقبل مني هذا العمل ، وألا يحرمني فيه ثواب المجتهد أصاب أو أخطأ ، وأن يرزقه القبول والرضى لديه ، ثم لدى من يقرأه ، وأن ينفع به ، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

ثَبَت المصادر والمراجع

١ – أثر النحاة في البحث البلاغي / د / عبد القادر حسين / دار غريب / القاهرة / ١٩٩٨م .

٢ – الأزهر في ألف عام / د / محمد عبد المنعم خفاجي / عالم الكتب / بيروت ، مكتبة الكليات الأزهرية / القاهرة / الطبعة الثانية / ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م .

٣ – أطواق الذهب / الزمخشري / تحقيق : أحمد عبد التواب عوض / دار الفضيلة / القاهرة / بدون تاريخ .

٤ – الأعلام / خير الدين الزركلي / دار العلم للملايين / بيروت / لبنان / الطبعة الخامسة عشرة / ٢٠٠٢م .

٥ – أمالي علي عبد الرازق في علم البيان وتاريخه / علي عبد الرازق / مطبعة مقداد / التابعة لمكتبة النيل / مصر / ١٣٣٠ هـ .

٦ – أمالي علي عبد الرازق في علم البيان وتاريخه في ميزان النقد والبلاغة / د / طلعت أبو حلوة / بحث محكم ومنشور في مجلة الدراية في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق/ جامعة الأزهر/ العدد السابع عشر ٢٠١٧م.

٧ – الأنساب / السمعاني / تحقيق : عبد الله عمر البارودي / دار الجنان / عمان / الأردن / بدون تاريخ .

٨ – البديع / عبد الله بن المعتز / تحقيق : عرفان مطرجي / مؤسسة الكتب الثقافية / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢م .

٩ – بغية الإيضاح / عبد المتعال الصعيدي / مكتبة الآداب / القاهرة / الطبعة السابعة عشرة / ١٤٢٦– ٢٠٠٥م .

١٠– بغية الوعاة / السيوطي / تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم / المكتبة العصرية / صيدا / بيروت / بدون تاريخ .

١١ – البلاغة / المُبَرِّد / تحقيق : د / رمضان عبد التواب / مكتبة الثقافة الدينية / القاهرة / الطبعة الثانية / ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م .

١٢- البلاغة تطور وتاريخ / د / شوقي ضيف / دار المعارف / القاهرة / الطبعة الثامنة / ١٩٩٢م .

١٣- البلاغة العربية / د / علي عشري زايد / مكتبة الآداب / القاهرة / الطبعة العاشرة / ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧م .

١٤ - البلاغة عند السكاكي / د / أحمد مطلوب / مكتبة النهضة / بغداد / الطبعة الأولى / ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م .

١٥ - البلاغة والأسلوبية / د / محمد عبد المطلب / الشركة المصرية العالمية للنشر / القاهرة / الطبعة الأولى / ١٩٩٤م .

١٦ - البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة / الفيروزآبادي / دار سعد الدين / دمشق / سوريا / الطبعة الأولى / ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م .

١٧ - تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها / أحمد مصطفى المراغي / مطبعة الحلبي / مصر / الطبعة الأولى / ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠م .

١٨ - التبيان في علم البيان / ابن الزَّمْلَكاني / تحقيق : د / أحمد مطلوب ، د / خديجة الحديثة / مطبعة العاني / بغداد / الطبعة الأولى / ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤م .

١٩ - التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر / د / عبد الفتاح لاشين / دار المريخ / الرياض / المملكة العربية السعودية / بدون تاريخ .

٢٠ - تفسير المراغي دراسة منهجية / د / أحمد داود محمد شحروري / دار المأمون / عمّان / الأردن / الطبعة الأولى / ١٤٣٢ هـ ٢٠١٢م .

٢١ - التلخيص في علوم البلاغة / الخطيب القزويني / شرح : عبد الرحمن البرقوقي / دار الفكر العربي / القاهرة / الطبعة الأولى / ١٩٠٤م .

٢٢ - تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون / خليل بن أيبك الصفدي / تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم / المكتبة العصرية / صيدا / بيروت / الطبعة الأولى / ١٩٦٩م .

٢٣ – حاشية الصبان على شرح الأشموني / محمد علي الصبان / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م .
٢٤ – الخصائص / ابن جني / تحقيق : محمد علي النجار / عالم الكتب / بيروت / بدون تاريخ .
٢٥ – خطوات البحث البلاغي والنقدي بين النشأة والمنهج / د / محمد إبراهيم شادي / عالم الثقافة / القاهرة / الطبعة الأولى / ١٤٣٩ هـ – ٢٠١٨م .
٢٦ – دراسات منهجية في علم البديع / د / الشحات أبو ستيت / دار خفاجي / قليوبية / الطبعة الأولى / ١٤١٤هـ – ١٩٩١م .
٢٧ – دلائل الإعجاز / عبد القاهر الجرجاني / تحقيق : محمود محمد شاكر / مطبعة المدني / القاهرة ، دار المدني / جدة / الطبعة الثالثة / ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م .
٢٨ – ديوان أبي فِراس الحمداني / شرح : د / خليل الدوَيْهي / دار الكتاب العربي / بيروت / لبنان / الطبعة الثانية / ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م .
٢٩– سير أعلام النبلاء / شمس الدين الذهبي / تحقيق : شعيب الأرنؤوط / مؤسسة الرسالة / بيروت / لبنان / بدون تاريخ .
٣٠ – شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان / السيوطي / مطبعة الحلبي / ١٣٥٨هـ – ١٩٣٩م .
٣١ – شرح كتاب الحدود في النحو / الفاكهي / تحقيق : د / المتولي رمضان أحمد الدميري / دار التضامن / القاهرة / ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م .
٣٢ – الصبغ البديعي / د / أحمد إبراهيم موسى / دار الكاتب العربي / القاهرة / ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٩م .
٣٣ – الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية / الجوهري / تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار / دار العلم للملايين / الطبعة الرابعة / ١٩٩٠م .
٣٤– الطراز / العلوي / تحقيق : د / عبد الحميد هنداوي / المكتبة العصرية / صيدا / بيروت / الطبعة الأولى / ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .

٣٥ – عصر الدول والإمارات (الجزيرة العربية – العراق – إيران) / د / شوقي ضيف / دار المعارف / القاهرة / الطبعة الثانية / بدون تاريخ .
٣٦ – علم البديع / د / عبد العزيز عتيق / دار الآفاق العربية / القاهرة / الطبعة الأولى / ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦م .
٣٧ – علوم البلاغة / أحمد مصطفى المراغي / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الثالثة / ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣م .
٣٨ – كتاب الصناعتين / أبو هلال العسكري / تحقيق : علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم / دار إحياء الكتب العربية / الطبعة الأولى / ١٣٧١ هـ – ١٩٥٢م .
٣٩ – كشف الظنون / حاجي خليفة / تحقيق : محمد عبد القادر عطا / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / ١٤٣٨ هـ – ٢٠١٧م .
٤٠ – الفتح المبين في طبقات الأصوليين / عبد الله مصطفى المراغي / محمد أمين دمج وشركاه / بيروت / لبنان / الطبعة الثانية / ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤م .
٤١ – في تاريخ البلاغة العربية / د / عبد العزيز عتيق / دار النهضة العربية / بيروت / لبنان / بدون تاريخ .
٤٢ – لسان العرب / ابن منظور / دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي / بيروت / لبنان / الطبعة الثانية / ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م .
٤٣ – المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر / ابن الأثير / تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد / المكتبة العصرية / صيدا / بيروت / ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥م .
٤٤ – مجاز القرآن / أبو عبيدة / تحقيق : د / محمد فؤاد سزكين / مكتبة الخانجي / القاهرة / بدون تاريخ .
٤٥ – المختصر في تاريخ البلاغة / د / عبد القادر حسين / دار غريب / القاهرة / ٢٠٠١م .

٤٦ – المسكوت عنه في التراث البلاغي / د / محمد محمد أبو موسى / مكتبة وهبة / القاهرة / الطبعة الأولى / ١٤٣٨ هـ – ٢٠١٧م .
٤٧ – المصباح في المعاني والبيان والبديع / بدر الدين بن مالك / تحقيق : د / حسني عبد الجليل يوسف / مكتبة الآداب / القاهرة / بدون تاريخ .
٤٨ – معجم البلدان / ياقوت الحموي / دار الفكر / بيروت / بدون تاريخ .
٤٩ – معجم التعريفات / الشريف الجرجاني / تحقيق : محمد صِدِّيق المِنْشاوي / دار الفضيلة / القاهرة / بدون تاريخ .
٥٠ – معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة / مؤسسة الرسالة / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣م .
٥١ – مفتاح العلوم / السكاكي / تحقيق : نعيم زرزور / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الثانية / ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م .
٥٢ – نقد الشعر / قدامة بن جعفر / تحقيق : د / محمد عبد المنعم خفاجي / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / بدون تاريخ .
٥٣ – نقد النثر / قدامة بن جعفر / تحقيق : عبد الحميد العبادي / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠م .
٥٤ – وفيات الأعيان / ابن خلكان / تحقيق : د / إحسان عباس / دار صادر / بيروت / ١٩٠٠م .

مَسْـــرَد الـموضوعـــــات

الموضوع	الصفحة
الملخص	٨٧٥٩
المقدمة	٨٧٦٣
التمهيد	٨٧٧٠
أولًا – التعريف بالمؤلف	٨٧٧٠
أ – اسمه ونسبه .	٨٧٧٠
ب – مولده .	٨٧٧٠
ج – نشأته .	٨٧٧٠
د – أعماله ووظائفه .	٨٧٧١
هـ – وفاته .	٨٧٧١
و – مؤلفاته	٨٧٧١
ثانيًا – التعريف بكتاب " تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها "	٨٧٧٢
أ – مادته وقيمته الفنية .	٨٧٧٢
ب – سبب تأليفه	٨٧٧٢
ج – تاريخ تأليفه	٨٧٧٣
المبحث الأول – نشأة علوم البلاغة وأطوار التأليف فيها	٨٧٧٥
أولًا– الطور الأول " من عصر سيبويه إلى عصر عبد القاهر "	٨٧٧٥
ثانيًا – الطور الثاني " عصر عبد القاهر والزمخشري وابن الأثير "	٨٧٨٣
ثالثًا – الطور الثالث " عصر السكاكي والعضد الإيجي والطيبي والخطيب وبدر الدين بن مالك "	٨٧٨٩
رابعًا – الطور الرابع " عصر الشروح والحواشي "	٨٧٩٦
خامسًا – الطور الخامس " التأليف في العصر الحاضر "	٨٨٠٠
تذييل " واضع علمي المعاني والبيان سيبويه "	٨٨٠٣

المبحث الثاني – التعريف بعلماء البلاغة	٨٨١٣
القسم الأول : علماء عَرَّفَ بهم بإطناب	٨٨١٣
القسم الثاني : علماء عَرَّفَ بهم بإيجاز	٨٨١٤
علماء بلاغة لم يعرّف بهم المؤلف	٨٨١٨
منهج المراغي في تعريفه بعلماء البلاغة	٨٨٢٠
وقفات مع تعريف المراغي بعلماء البلاغة	٨٨٢٤
تذييل "تقسيم البلاغة ثلاثة أقسام، وجعل تحسين البديع عرضيًّا لا ذاتيًّا"	٨٨٣٠
أولًا : أدلة الرفض من حيث الرواية	٨٨٣٢
ثانيًا : أدلة الرفض من حيث الدراية	٨٨٣٣
الخاتمة	٨٨٣٩
ثَبَت المصادر والمراجع	٨٨٤٣
مَسْرَد الموضوعات	٨٨٤٨